السّلسلة الكلاميّة

9

# أبو حامد الغزالي

# المنقذ من الضّلال
# والموصل إلى ذي العزّة والجلال

دار كيرانيس للطّباعة والنّشر والتّوزيع

2020

النّاشر: شركة كيرانيس للطّباعة والنّشر والتّوزيع
العنوان: إقامة الزّيتونة – 2/III - المنار 2 – أريانة
الهاتف: 71886914 216+
الفاكس: 71886872 216+
العنوان الالكتروني: JomaaAssaad@yahoo.fr
معرّف النّاشر : 02-9938
عدد الطّبعة: الثّانية
ت د م ك : 978-9938-02-030-4
تمّ سحب 1000 نسخة من هذا الكتاب بمطبعة كيرانيس-المنار 2

© جميع الحقوق محفوظة لشركة كيرانيس للطّباعة والنّشر والتّوزيع

# كتاب المنقذ من الضّلال
# والموصل إلى ذي العزّة والجلال

## لأبي حامد الغزالي

# الـمـقـدّمـة

# المقدّمة

## 1 – المؤلف:

### 1 – مولده ونشأته:

وُلد أبو حامد الغزالي بقرية "غزالة" القريبة من طوس من إقليم خراسان عام (450 هـ / 1058 م)، وإليها نسب الغزالي. ونشأ الغزالي في بيت فقير من عائلة خراسانيّة، وكان والده رجلاً زاهدًا ومتصوّفًا لا يملك غير حرفته، ولكن كانت لديه رغبة شديدة في تعليم ولديْه محمّد وأحمد، وحينما حضرته الوفاة عهد إلى صديق له متصوّف برعاية ولديْه، وأعطاه ما لديه من مال يسير، وأوصاه بتعليمهما تأديبهما. اجتهد الرّجل في تنفيذ وصيّة الأب على خير وجه حتّى نفد ما تركه لهما أبوهما من المال، وتعذّر عليه القيام برعايتهما والإنفاق عليهما، فألحقهما بإحدى المدارس التي كانت منتشرة في ذلك الوقت، والتي كانت تكفل طلاّب العلم فيها.

ابتدأ طلبه للعلم في صباه، فأخذ الفقه في طوس، ثم قدم نيسابور ولازم إمام الحرمين الجويني في نيسابور، فأخذ عنه جملة من العلوم في الفقه وأصوله وعلم الكلام والمنطق، وفي هذه الفترة ألّف الغزالي كتابه *المنخول* وعرضه على شيخه الجويني الذي علّق عليه قائلاً: "دفنتني وأنا حيّ! هلاّ صبرت حتّى أموت؟!".

واجْتهد الغزالي في طلب العلم حتى تخرّج في مدة قريبة وصار أنظر أهل زمانه وأوحد أقرانه.

### 2 – شيوخه:

درس الغزالي على عدد من العلماء والأعلام، منهم:

– الإمام أحمد الرازكاني، أخذ عنه الفقه في طوس.

– الإمام أبي نصر الاسماعيلي.

– إمام الحرمين أبو المعالي الجويني، أخذ عنه الفقه وأصوله وعلم الكلام والمنطق والفلسفة.

– الشّيخ الفضل بن محمّد الفارمذي، تلميذ أبو القاسم القشيري، والذي اشتهر في زمانه حتّى صار مقصد طالبي التّصوّف، وقد أخذ عنه الغزالي التصوّف.
– الشّيخ يوسف النسّاج، وقد أخذ عنه التصوّف.

**3 – تلاميذه:**

– الإمام أبو منصور ابن الرزّاز.
– أبو عبد الله الجيلي.
– الإمام الباربابذي.
– أبو الفتح الباقرجي.
– أبو العبّاس الأقليشي.
– عبد القادر الجيلاني، حيث يؤكّد ماجد عرسان الكيلاني في كتابه *هكذا ظهر جيل صلاح الدّين وهكذا عادت القدس*: "أن من أهمّ تلاميذ الإمام الغزالي كان الشيخ الإمام عبد القادر الجيلاني الذي سار على نهجه وأكمل طريقه حيث أنّهما ساهمَا في إعداد جيل صلاح الدّين الأيّوبي الذي حرّر القدس الشريف من الصليبيّين، وهذا موثّق في العديد من المصادر والمراجع التاريخيّة.

ومَن يتصفّح *الغنية* للشّيخ عبد القادر يكتشف وبسرعة أنّها مختصر نافع لإحياء علوم الدّين".

**4 – خططه العلميّة والشّرعيّة:**

جلس الإمام الغزالي للإقراء وإرشاد الطّلبة وتأليف الكتب في أيّام إمامه الجويني، وكان الإمام يتبجح به ويعتدّ بمكانه منه.

ثم خرج من نيسابور وحضر مجلس الوزير نظام الملك، فأقبل عليه وحلّ منه محلاً عظيمًا لعلوّ درجته وحسن مناظرته، وكان مجلس نظام الملك محطًّا لرحال العلماء، ومقْصد الأئمة والفضلاء، ووقع للإمام الغزالي فيها اتّفاقات حسنة من مناظرة الفحول، فظهر اسمه وطار صيته، فأشار عليه نظام الملك بالمسير إلى بغداد للقيام بالتّدريس في المدرسة النظاميّة، فسار إليها سنة أربع وثمانين (484 هـ) وأعْجب الكلّ بتدريسه ومناظرته،

وحضره الأئمّة الكبار كابن عقيل وأبي الخطّاب وتعجّبوا من كلامه ونقَلوه في مصنّفاتهم، فصار إمام العراق بعد أن حاز إمامة خراسان، وارتفعت درجته في بغداد على الأمراء والوزراء والأكابر وأهل دار الخلافة.

## II – مؤلفاته:

ألّف الإمام الغزالي خلال مدّة حياته (55 سنة) الكثير من الكتب في مختلف صنوف العلم، حتّى أنّه قيل: إن تصانيفه لو وُزّعت على أيّام عمره لأصاب كلّ يوم كتاب. ومن هذه الكتب:

### 1 – في العقيدة وعلم الكلام والفلسفة:

- مقاصد الفلاسفة.
- تهافت الفلاسفة.
- الاقتصاد في الاعتقاد.
- بغية المريد في مسائل التوحيد.
- إلجام العوامّ عن علم الكلام.
- المقصد الأسنى شرح أسماء الله الحسنى.
- فضائح الباطنيّة.
- القسطاس المستقيم (الردّ على الإسماعيليّة).
- فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة.

### 2 – في الفقه وأصوله والمنطق:

- المستصفى في علم أصول الفقه.
- المنخول في تعليقات الأصول.
- الوسيط في فقه الإمام الشّافعيّ.
- الوجيز في فقه الإمام الشّافعيّ.

- معيار العلم في المنطق.
- محكّ النّظر (منطق).

### 3 – في التّصوّف:

- إحياء علوم الدّين.
- بداية الهداية.
- المنقذ من الضلال.
- روضة الطّالبين وعمدة السّالكين.
- الأربعين في أصول الدين.
- منهاج العابدين إلى جنّة ربّ العالمين.
- معارج القدس في مدارج معرفة النّفس.
- الدّعوات المستجابة ومفاتيح الفرج.
- مدخل السّلوك إلي منازل الملوك.
- أصناف المغرورين.
- مشكاة الأنوار.
- ميزان العمل.
- أيّها الولد المحبّ.
- كيمياء السّعادة (في الفارسية: كيمياي سعادت).
- سرّ العالمين وكشف ما في الدّارين.
- مكاشفة القلوب المقرّب إلى حضرة علام الغيوب.

### 4 – متفرّقات:

- جواهر القرآن ودرره.
- الحكمة في مخلوقات الله.
- التّبر المسبوك في نصحية الملوك.
- آداب النّكاح وكسر الشّهوتين.

- القصيدة المنفرجة.
- شفاء الغليل في بيان الشّبه والمخيّل ومسالك التّعليل.

## III - تـّبنه الرع ّفدّة والدّوح دّة:

مرّ الإمام الغزالي في حياته بمرحلة شكّ خلالها في الحواسّ والعقل وفي قدرتهما على تحصيل العلم اليقينيّ -وهذه الحالة هي التي تسمّى: فترة الشكّ، وهي غير الأزمة الرّوحانية التي أدّت بالغزالي إلى ترك بغداد وهي الأزمة الأولى، وهي بطابعها غير روحانيّة، وإنّما هي معرفيّة-، ودخل في مرحلة من السّفسطة غير المنطقيّة حتّى شفاه الله منها بعد مدّة شهرين تقريبًا، حيث يقول عن نفسه: "فلمّا خطرت لي هذه الخواطر -خواطر الشكّ في المحسوسات والمعقولات- وانْقدحت في النّفس، حاولتُ لذلك علاجًا، فلم يتيسّر، إذ لم يكن دفعه إلاّ بالدّليل، ولم يمكن نصب دليل إلاّ من تركيب العلوم الأوّلية، فإذا لم تكن مسلّمة لم يمكن تركيب الدّليل. فأعضل هذا الدّاء، ودام قريبًا من شهرين أنا فيهما على مذهب السّفسطة بحكم الحال، لا بحكم النّطق والمقال، حتّى شفى الله -تعالى- من ذلك المرض، وعادت النّفس إلى الصحّة والاعتدال، ورجعت الضروريّات العقليّة مقبولة موثوقًا بها على أمن ويقين ولم يكن ذلك بنظم دليل وترتيب كلام، بل بنور قذفه الله -تعالى- في الصّدر، وذلك النّور هو مفتاح أكثر المعارف".

ويتابع الغزالي قائلاً عن نفسه: "ولما شفاني الله من هذا المرض بفضْله وسعة جوده، انْحصرت أصناف الطّالبين عندي في أربع فرق:

- المتكلّمون: وهم يدَّعون أنّهم أهل الرّأي والنّظر.
- الباطنيّة: وهم يزعمون أنّهم أصحاب التّعليم والمخصوصون بالاقتباس من الإمام المعصوم.
- الفلاسفة: وهم يزعمون أنّهم أهل المنطق والبرهان.
- الصّوفيّة: وهم يدَّعون أنّهم خواصّ الحضرة وأهل المشاهدة والمكاشفة.

فقلتُ في نفسي: الحقّ لا يعدو هذه الأصناف الأربعة، فهؤلاء هم السّالكون سبل طلب الحقّ، فإن شذَّ الحقّ عنهم، فلا يبقى في درك الحقّ مطمع ... فابتدرتُ لسلوك

هذه الطّرق، واستقصاء ما عند هذه الفرق، مبتدئًا بعلم الكلام، ومثنيًّا بطريق الفلسفة، ومثلثًّا بتعلّم الباطنيّة، ومربّعًا بطريق الصّوفيّة.

### 1 – علم الكلام:

بدأ الغزالي في تحصيل علم الكلام وطالع كتب المحقّقين منهم، حتّى عقله وفهمه حقّ الفهم، بل وصنّف فيه عدّة من الكتب التي أصبحت مرجعًا في علم الكلام فيما بعد مثل كتاب *الاقتصاد في الاعتقاد*.

ولقد قال الغزالي عن علم الكلام إنّه حفظ العقيدة من الشّكوك التي تثار حولها والطعون التي توجه إليها. أمّا أن يخلق علم الكلام عقيدة الإسلام في إنسان نشأ خاليًا عنها غير مؤمن بها، فهذا ما لم يحاوله علم الكلام، وما لم يكن في مهمّته، وقد قضت عليه مهمّته تلك أن يأخذ مقدّماته من هؤلاء الطّاعنين المشكّكين ليؤاخذهم بلوازم مسلّماتهم، وهي مقدّمات واهية ضعيفة.

قال: "وكان أكثر خوضهم (يقصد علم الكلام) في استخراج مناقضات الخصوم ومؤاخذتهم بلوازم مسلّماتهم".

هذا هو مقصود علم الكلام أمّا مقصود الغزالي، فهو إدراك الحقيقة الدينيّة إدراكًا يقينيًّا عن مكاشفة ودقّة ووضوح. لهذا يقول الغزالي مشيرًا إلى علم الكلام: "فلم يكن الكلام في حقّي كافيًا، ولا لدائي الذي كنت أشكوه شافيًا".

لم يجدْ الغزالي ضالّته المنشودة في علم الكلام، ورآه غير واف بمقصوده، إذن لم يكن علم الكلام مقنعًا للغزالي، فظلّ يبحث عن الحقيقة، وانتقل إلى الصّنف الثّاني من طالبي الحقيقة، وهم الفلاسفة.

### 2 – الفلاسفة، وقد انتقدهم:

تناول الغزالي بحوث الفلاسفة التي تعرّضوا فيها لموضوعات العقيدة، علّه يجد لديهم من فنون المحاولات العقليّة ما يقطع بصحّة ما ذهبوا إليه بشأنها، فوجدهم قد اختلفوا فيها اختلافا كبيرًا. سرعان ما أدرك الغزالي أن مزاولة العقل لهذه المهمّة إقحام له فيما لا طاقة له به، وأنّ أسلوب العقل في تفهّم الأمور الرياضيّة، ولا يمكن أن تخضع له المسائل الإلهيّة.

فألّف الغزالي في نقدهم وتفنيد آرائهم كتبًا أهمّها كتاب *تهافت الفلاسفة*. لذلك خرج الغزالي بهذه النّتيجة: "فإنّي رأيتهم أصنافًا، ورأيتُ علومهم أقسامًا وهم على كثرة أصنافهم يلزمهم وصمة الكفر والإلحاد، وإن كان بين القدماء منهم والأقدمين، وبين الأواخر منهم والأوائل، تفاوت عظيم في البعد عن الحقّ والقرب منه.

فكذلك لم يجد الغزالي ضالّته في الفلسفة ورآها غير جديرة بما يمنحها النّاس من ثقة، فاتّجه إلى ثالث فرقة من أصناف الباحثين عن الحقّ وهي الباطنيّة أو التّعليميّة.

### 3 – الباطنيّة، وقد انتقدهم:

في عهد الخليفة العبّاسي المستظهر برزت فرقة تُسمّى الباطنيّة، وكانت ترى أنه يجب تأويل القرآن والبحث في باطنه وعدم قبول ظاهره، فقد كانوا يؤمنون بالمعاني الباطنة.

وإنّ لهذه الفرقة أفكار ضالّة وملحدة حتّى أنّها كانت تهدف إلى التّشكيك في أركان الشّريعة، فمثلاً يقولون: ما الهدف من رمي الحجارة؟ وما الدّاعي للسّعي بين الصفا والمروة؟ إذن كانت فرقة ملحدة تكفيريّة خطيرة أحسّ الخليفة العبّاسي بخطرها، فطلب من الإمام الغزالي أن يؤلّف كتابًا يقوم فيه بالردّ عليهم. فتمعّن الغزالي بأفكارهم وتعمّق بها وكتب كتاب *فضائح الباطنيّة*، فانتقدهم في كتابه وتأثّر بكتب مَن سبقوه في نقد هذه الفرقة.

يقول الباطنيّة: إن العقل لا يؤمن عليه الغلط، فلا يصحّ أخذ حقائق الدّين عنه. وإلى هذا الحكم انتهى الغزالي عند امتحانه للفلاسفة، فهم إذن في هذه النقطة متّفقون. عمّاذا إذن يأخذون قضايا الدّين في ثوبها اليقينيّ؟! يأخذونها عن الإمام المعصوم الذي يتلقّى عن الله بواسطة النبيّ. أحبب بهذا الإمام وبما يأتي عن طريقه. ولكن أين ذلك الإمام؟ فتّش عنه الغزالي طويلاً فلم يجده، وتبيّن أنّهم فيه مخدوعون، وأنّ هذا الإمام لا حقيقة له في الأعيان، فعاد أدراجه وكرّ راجعًا، بعد ما ألّف كتبًا ضدّهم أوجعهم فيها نقدًا وتفنيدًا كما يقول: "فلمّا خبرناهم نفضنا اليد عنهم أيضًا".

وأيضًا لم يجد الغزالي ضالّته عند الباطنيّة، ورآهم غارقين في حيرة، فوصل أخيرًا عند الصّوفيّة، وعندها ابتدأ اعتزاله عن النّاس وسفره.

**4 – الصّوفيّة، ووجد ضالّته عندهم:**

عندما فرغ الغزالي من هذه العلوم، أقبل بهمّته على طريق الصّوفيّة، وبما أن طريقتهم إنما تتمّ بعلم وعمل وكان حاصل علومهم قطع عقبات النّفس. والتنزّه عن أخلاقها المذمومة وصفاتها الخبيثة، حتى يتوصّل بها إلى تخلية القلب عن غير الله –تعالى– وتحليته بذكر الله. ابتدأ الغزالي بتحصيل علمهم من مطالعة كتبهم مثل:

– *قوت القلوب* لأبي طالب المكّي.

– كتب الحارث المحاسبي.

– المتفرّقات المأثورة عن الجنيد.

– المتفرّقات المأثورة عن الشّبلي.

– المتفرّقات المأثورة عن أبي يزيد البسطامي.

وبعد أن اطّلع الغزالي على كنه مقاصدهم العلميّة، وحصّل ما يمكن أن يحصّل من طريقهم بالتعلّم والسّماع. فظهر له أن أخصّ خواصّهم، ما لا يمكن الوصول إليه بالتعلّم بل بالذّوق والحال وتبدّل الصّفات. فيقول عن نفسه: "فعلمت يقينًا أنّهم أرباب الأحوال، لا أصحاب الأقوال. وأنّ ما يمكن تحصيله بطريق العلم فقد حصّلته، ولم يبقَ إلاّ ما لا سبيل إليه بالسّماع والتعلّم، بل بالذّوق والسّلوك".

عند ذلك لاحظ الغزالي على نفسه انغماسه في العلائق وأنّه في تدريسه وتعليمه مقبل على علوم غير مهمّة ولا نافعة في طريق الآخرة، ونيّته غير خالصة لوجه الله – تعالى–، بل باعثها ومحرّكها طلب الجاه وانتشار الصّيت. فلم يزل يتفكر فيه مدّة، يصمّم العزم على الخروج من بغداد ومفارقة تلك الأحوال يومًا، ويحل العزم يومًا، ويقدّم فيه رجلاً ويؤخّر عنه أخرى.

يقول الغزالي عن نفسه: "فلم أزل أتردّد بين تجاذب شهوات الدّنيا، ودواعي الآخرة، قريبًا من ستّة أشهر: أوّلها رجب سنة ثمان وثمانين وأربع مائة (488 هـ). وفي هذا الشهر جاوز الأمر حدّ الاختيار إلى الاضطرار، إذ أقفل الله على لساني حتّى اعتقل عن التّدريس، فكنتُ أجاهد نفسي أن أدرّس يومًا واحدًا تطييبًا لقلوب المختلفة إليّ، فكان لا ينطق لساني بكلمة واحدة ولا أستطيعها البتّة... ثمّ لما أحسستُ بعجزي، وسقط بالكلّية اختياري، الْتجأتُ إلى الله –تعالى– الْتجاء المضطرّ الذي لا حيلة له، فأجابني الذي

يجيب المضطرّ إذا دعاه، وسهّل على قلبي الإعراض عن الجاه والمال والأهل والولد والأصحاب، وأظهرت عزم الخروج إلى مكّة وأنا أدبّر في نفسي سفر الشّام حذرًا أن يطلع الخليفة وجملة الأصحاب على عزمي على المقام في الشّام فتلطّفت بلطائف الحيل في الخروج من بغداد على عزم أن لا أعاودها أبدًا".

ثمّ دخل الشّام، وأقام به قريبًا من سنتيْن لا شغل له إلا العزلة والخلوة والرّياضة والمجاهدة، اشتغالاً بتزكية النفس، وتهذيب الأخلاق، وتصفية القلب لذكر الله –تعالى–، كما كان يحصّله من كتب الصّوفيّة. فكان يعتكف مدّة في مسجد دمشق، يصعد منارة المسجد طول النّهار، ويغلق بابها على نفسه. ثم رحل منها إلى بيت المقدس، يدخل كلّ يوم الصخرة، ويغلق بابها على نفسه.

ثمّ يتابع الغزالي رحلته وخلوته ويقول عن نفسه: "ثم تحرّكت فيَّ داعية فريضة الحجّ، والاستمداد من بركات مكّة والمدينة. وزيارة رسول الله –صلّى الله عليه وسلّم– بعد الفراغ من زيارة الخليل –صلوات الله وسلامه عليه– فسرتُ إلى الحجاز".

ودام الغزالي في خلوته مقدار عشر سنين ليصل إلى نتيجة وهي في قوله: "إنّي علمتُ يقينًا أنّ الصّوفيّة هم السّالكون لطريق الله –تعالى– خاصّة، وأنّ سيرتهم أحسن السّير، وطريقهم أصوب الطرق، وأخلاقهم أزكى الأخلاق. بل لو جُمع عقل العقلاء، وحكمة الحكماء، وعلم الواقفين على أسرار الشّرع من العلماء، ليغيّروا شيئًا من سيرهم وأخلاقهم، ويبدّلوه بما هو خير منه، لم يجدوا إليه سبيلاً. فإنّ جميع حركاتهم وسكناتهم، في ظاهرهم وباطنهم، مقتبسة من نور مشكاة النبوّة وليس وراء نور النبوّة على وجه الأرض نور يستضاء به.

وبالجملة، فماذا يقول القائلون في طريقة، طهارتها –وهي أوّل شروطها– تطهير القلب بالكلّية عما سوى الله –تعالى–، ومفتاحها الجاري منها مجرى التحريم من الصّلاة، استغراق القلب بالكلّية بذكر الله، وآخرها الفناء بالكلّية في الله؟

وهذا آخرها بالإضافة إلى ما يكاد يدْخل تحت الاختيار والكسب من أوائلها. وهي على التّحقيق أوّل الطّريقة، وما قبل ذلك كالدّهليز للسّالك إليه.

ومن أوّل الطريقة تبتدئ المكاشفات والمشاهدات، حتّى أنّهم في يقظتهم يشاهدون الملائكة، وأرواح الأنبياء ويسمعون منهم أصواتًا ويقتبسون منهم فوائد. ثم يترقّى الحال من

مشاهدة الصور والأمثال، إلى درجات يضيق عنها نطاق النطق، فلا يحاول معبّر أن يعبّر عنها إلاّ اشتمل لفظه على خطأ صريح لا يمكنه الاحتراز عنه".

وخلال فترة اعتزاله ألّف الغزالي كتابه *إحياء علوم الدين* والذي ابتدأ تأليفه في القدس ثم أتمّه بدمشق، وهو يمثّل تجربته التي عاشها في تلك الفترة. ويعتبر كتاب *الإحياء* أحد أهمّ كتبه التي ألّفها، وأحد أهمّ وأشمل الكتب في علم التصوّف. حتّى أنه قيل عنه: "مَن لم يقرأ الإحياء فليس من الأحياء". كما وألّف كتابه *المنقذ من الضلال* كتب فيه قصّة اعتزاله وعوْدته.

## IV – الكتمال السار العلّي:

يقول الغزالي عن نفسه: "لما رأيتُ أصناف الخلق قد ضعف إيمانهم إلى هذا الحدّ بهذه الأسباب، ورأيتُ نفسي ملبة بكشف هذه الشبهة، حتّى كان إفضاح هؤلاء أيْسر عندي من شربة ماء، لكثرة خوضي في علومهم وطرقهم –أعني: طرق الصّوفيّة والفلاسفة والتّعليميّة والمتوسّمين من العلماء–، انقدح في نفسي أنّ ذلك –الرجوع إلى بلده– متعيّن في هذا الوقت، محتوم. فماذا تغني الخلوة والعزلة، وقد عمّ الداء، ومرض الأطبّاء، وأشرف الخلق على الهلاك؟ ... فشاورتُ في ذلك جماعة من أرباب القلوب والمشاهدات، فاتّفقوا على الإشارة بترك العزلة، والخروج من الزّاوية وانضاف إلى ذلك منامات من الصّالحين كثيرة متواترة، تشهد بأنّ هذه الحركة مبدأ خير ورشد قدّرها الله –سبحانه– على رأس هذه المائة فاستحكم الرجاء، وغلب حسن الظنّ بسبب هذه الشّهادات وقد وعد الله –سبحانه– بإحياء دينه على رأس كلّ مائة. ويسّر الله –تعالى– الحركة إلى نيسابور، للقيام بهذا المهمّ في ذي القعدة سنة تسع وتسعين وأربع مائة (499 هـ). وكان الخروج من بغداد في ذي القعدة سنة ثمان وثمانين وأربع مائة (488 هـ). وبلغت مدّة العزلة إحدى عشر سنة.

وهذه حركة قدّرها الله –تعالى–، وهي من عجائب تقديراته التي لم يكن لها انقداح في القلب في هذه العزلة، كما لم يكن الخروج من بغداد، والنّزوع عن تلك الأحوال ممّا خطر إمكانه أصلاً بالبال والله –تعالى– مقلب القلوب والأحوال، وقلب المؤمن بين إصبعين من أصابعِ الرحمن.

وأنا أعلم أنيّ، وإن رجعتُ إلى نشر العلم، فما رجعتُ! فإنّ الرجوع عَودٌ إلى ما كان، وكنتُ في ذلك الزّمان أنشر العلم الذي به يُكتسَب الجاه، وأدعو إليه بقولي وعملي، وكان ذلك قصدي ونيّتي.

وأمّا الآن فأدعو إلى العلم الذي به يُترك الجاه، ويُعرف به سقوط رتبة الجاه.

هذا هو الآن نيّتي وقصدي وأمنيتي يعلم الله ذلك مني وأنا أبغي أن أصلح نفسي وغيري، ولست أدري أأصِل مرادي أم أُحترم دون غرضي؟ ولكنّي أؤمن إيمان يقين ومشاهدة أنّه لا حول ولا قوّة إلا بالله العليّ العظيم وأنيّ لم أتحرّك، لكنّه حرّكني وإنّي لم أعمل، لكنه استعملني فأسأله أن يصلحني أوّلاً، ثم يُصلح بي، ويهديني، ثم يهدي بي وأن يريني الحقّ حقًّا، ويرزقني اتّباعه، ويريني الباطل باطلاً، ويرزقني اجتنابه".

عاد الغزالي إذن إلى وطنه طوس ملازمًا بيته مقبلاً على العبادة ونصح العباد وإرشادهم ودعائهم إلى الله –تعالى–، والاستعداد للدّار الآخرة مرشد الضّالّين ومفيد الطّالبين، وكان معظم تدريسه في التفسير والحديث والتصوّف.

فلمّا صارت الوزارة إلى فخر الملك أحضره وسمع كلامه وألْزمه بالخروج إلى نيسابور، فخرج ودرس، ثمّ عاد إلى وطنه واتّخذ في جواره مدرسة ورباطًا للصّوفيّة وبنى دارًا حسنة وغرس فيها بستانًا وتشاغل بالقرآن وسمع الصّحاح.

## VI - نظّاره الدّوليّة:

يُعدّ أبو حامد الغزالي من كبار المفكّرين المسلمين بعامّة ومن كبار المفكّرين بمجال علم الأخلاق والتّربية بخاصّة، وقد استفاد الغزالي من تجربته العميقة معتمدًا على الشّريعة الإسلاميّة في بناء منهجيّة متكاملة في تربية النّفس الإنسانيّة. كما بيّن الطّرق العمليّه لتربية الأبناء وإصلاح الأخلاق الذّميمة وتخليص الإنسان منها، فكان بذلك مفكّرًا ومربّيًا ومصلحًا اجتماعيًّا في آن معًا.

## VII – اخ ا ل ق:

يرى الغزالي أنّ الأخلاق ترجع إلى النّفس لا إلى الجسد، فالخلق عنده هيئه ثابتة في النّفس تدفع الإنسان للقيام بالأفعال الأخلاقيّة بسهولة ويسر دون الحاجة إلى التفكير الطّويل.

ويرى الغزالي أنّ الأخلاق الفاضلة لا تولد مع الإنسان، وإنّما يكتسبها عن طريق التربية والتعليم من البيئة التي يعيش فيها.

والتّربية الأخلاقيّة السّليمة في نظر الغزالي تبدأ بتعويد الطفل على فضائل الأخلاق وممارستها مع الحرص على تجنيبه مخالطة قرناء السّوء حتّى لا يكْتسب منهم الرّذائل، وفي سنّ النّضج العقلي تشرح له الفضائل شرحًا علميًّا يبيّن سبب عدّها فضائل، وكذلك الرّذائل وسبب عدّها رذائل، حتّى يصبح سلوكه مبنيًّا على علم ومعرفة واعية.

## VIII – السعادة:

السّعادة كما يراها الغزالي هي تحصيل أنواع الخيرات المختلفة، وهي:

– خيرات خاصّة بالبدن، مثل الصحّة والقوّة وجمال الجسم وطول العمر.

– خيرات خاصّة بالنّفس، وهي فضائل النّفس "الحكمة والعلم والشّجاعة والعفّة".

– خيرات خارجية، وهي الوسائل وكلّ ما يعين الإنسان في حياته، مثل المال والمسكن ووسائل النقل والأهل والأصدقاء.

– خيرات التّوفيق الإلهي، مثل الرّشد والهداية والسّداد والتأمّل.

## IX - وفاته:

توفّي أبو حامد الغزالي يوم الاثنين 14 جمادى الآخرة 505 هـ، ديسمبر 1111 م، في مدينة طوس، وسأله قبيل الموت بعض أصحابه: "أوص"، فقال: "عليك بالإخلاص" فلم يزل يكرّرها حتّى مات[1].

---

[1] حول ترجمته راجع: *وفيّات الأعيان*، ج4/ص210 إلى ص219 *طبقات* السّبكي، ج4/ص101 *تبيين كذب المفتري*، ص291 إلى ص306 *المنتظم*، ج9/ص168 *طبقات* الحسيني، ص69.

انظر أيضا: *سيرة الغزالي* لعبد الكريم العثمان (دار الفكر–دمشق) *الحقيقة في نظر الغزالي* لسليمان دنيا (دار المعارف–مصر) *الغزالي* لكارا دي فو، ترجمة عادل زعيتر (القاهرة–1959) *كتاب مهرجان الغزالي* في دمشق 1961 *مؤلّفات الغزالي* لعبد الرّحمان بدوي (القاهرة–1961).

## X – تحقيق الكتاب:

خصّصنا الجزء الأوّل من تحقيقنا لضبط نصّ *كتاب المنقذ من الضّلال والموصل إلى ذي العزّة والجلال*، فسعينا في المتن إلى استيفاء مقوّمات تحقيق المخطوطات، من مقارنة بين النّسخ الخطّيّة المتوفّرة لدينا والنصّ المطبوع، والوقوف على المصادر المعتَمَدة من قبل المؤلّف... ممّا قادنا إلى إفراد هوامش قراءة وأخرى للإحالات.

أمّا الجزء الأخير من تحقيقنا، فقد أفردناه لضبط قائمة المصادر والمراجع.

## XI – تقييم الكتاب:

يُعتبر كتاب *المنقذ من الضّلال والموصل إلى ذي العزّة والجلال* المتسم بالصغر في الحجم، والكبير في المضمون، من أهم الآثار القيمة التي حبرها الإمام الغزالي في مسيرته العلمية. فله أهمية خاصة في التعرف على خلاصة قواعد البحث العلمي التي توصّل إليها أبو حامد الغزالي أثناء رحلته المعرفية في الوصول إلى الحقيقة العلمية اليقينية.

وإذا كانت دوافع البحث والتأليف تدفع المؤلفين والعلماء ليبثوا ذلك في صدر مقدماتهم للكتب في غالب الأحيان. فإنّ دوافع كتاب *المنقذ من الضّلال* جاءت للبيان والتوضيح، كما يؤكّد الدّكتور أسعد السحمراني –أستاذ العقائد والأديان في جامعة الأوزاعي ببيروت– الذي قال في هذا الصّدد: "إنّ كتاب المنقذ من الضّلال لا يصنّف بين كتب المعارف والعلوم التي تعالج موضوعا أو موضوعات في اختصاص أو علم أو فنّ.

وإنّما هو كتاب يحوي أسس المنهج المعرفي، ويحدد خطوات هذا المنهج وسبل تحصيل المعارف بأنواعها، سواء منها ما هو غير موثوق أو ما فيه بعض الثقة. أو ما يرتقي إلى المستوى اليقيني".

ولقد صرّح الغزالي في مستهل مقدمة كتابه أنّ سبب تأليفه هذا جاء استجابة لطلب أخ له في الدين: "فقد سألتني أيها الأخ في الدين أن أبث إليك غاية العلوم وأسرارها، وغائلة المذاهب وأغوارها، وأحكي لك ما قاسيته في استخلاص الحقّ من بين اضطراب الفرق. مع تباين المسالك والطرق، وما استجرأت عليه من الارتفاع عن

حضيض التّقليد، إلى يفاع الاستبصار، وما استفدته أوّلاً من علم الكلام وما اجتويته ثانيا من طرق أهل التعليم القاصرين لدرك الحق على تقليد الإمام، وما ازدريته ثالثًا من طرق التفلسف، وما ارتضيته آخرا من طريقة التّصوّف، وما انْجلى لي في تضاعيف تفتيشي عن أقاويل الخلق من لباب الحقّ".

إذا أردنا أن نعرف محتوى كتاب *المنقذ من الضّلال* معرفة سليمة. فلا بدّ لنا من التعرف على الاتّجاهات الفكريّة السائدة آنئذ في عصره –القرن الخامس الهجري–.

ولهذا فإن الغزالي أثناء بحثه عن الحقيقة اليقينيّة استوْعب هذه المدارس الفكريّة استيعابًا تامًّا ودرسها دراسة جدية. ونقدها نقدًا عميقًا، وقسّمها إلى أربع فرق:

1 – المتكلّمون الذين يدّعون أنّهم أهل الرّأي والنّظر.

2 – الباطنيّة أو أهل التعليم الذين يزعمون بأنّهم أصحاب التعليم والمخصوصون بالاقتباس من الإمام المعصوم.

3 – الفلاسفة الذين يزعمون أنّهم أهل المنطق والبرهان.

4 – الصّوفيّة الذين يدعون أنهم خواص الحضرة وأهل المشاهدة والمكاشفة.

وقد سلك أبو حامد الغزالي في مؤلّفه هذا، بتمحيص سلوك هذه الفرق كلّها. ليتعرّف إلى أصولها – وأسسها – ومناهجها– ووجهتها.

وبعد هذه الرحلة المعرفيّة الاستكشافيّة ما الذي وجده عند كلّ منها؟

### 1 – المتكلّمون:

إذا كان علم الكلام من العلوم الإسلامية التي نشأت في المجتمع الإسلامي بهدف الدفاع عن العقائد الدينية بالأدلة العقلية، والرد على أصحاب النزعات الإلحادية، وأصحاب البدع التي أثّرت في نشر ما يؤذي عقيدة المؤمنين...وكان نشاط علماء الكلام بارزا في الدفاع عن العقيدة؛ عقيدة التوحيد، وعن أركان الإسلام وشريعته ضد أهل البدع. بإفحامهم وبيان تهافت حججهم وإظهار باطلهم، وكان منهج علماء الكلام يقوم على تسلم المقدمات المطروحة من الخصوم وأهل البدع ومن ثم تفنيدها والرد عليها، وهو فعل محمود أدى أغراضه وبلغ مقاصده في صيانة العقيدة عند كثرين..فإنّ الغزالي كان مقصوده أبعد، فهو ليس من طينة من يحتاجون هذا الدواء فقط، دواء تثبيت العقيدة وعدم التأثر

بالبدع والتّشويشات، وإنما مقصوده علما يقينيا ليس مكانه في مباحث علم الكلام. يقول الغزالي في هذا الغرض.

"ثمّ إنّي ابتدأت بعلم الكلام فحصلته وعقلته وطالعت كتب المحققين منهم وصنفت فيه ما أردت أن أصنف، فصادفته علمًا وافيًا بمقصوده غير واف بمقصودي".

### 2 – الفلاسفة:

لما لم يعثر الغزالي على ردود وافية عند علماء الكلام على الفلاسفة الذين يشكلون خطرا على عقيدة الناس وأفكارهم. وهو صاحب المنهج القاضي بأنه ليس من حق العالم اتخاذ موقف من علم الكلام قبل الاطلاع عليه وقبل أن يصبح على إحاطة به بقدر يوازي فيه أبرز المتمكنين من هذا العلم.

لذلك عكف على كتب الفلسفة دراسة وتمحيصا قرابة السنتين، ليؤلف بعدها كتابه *مقاصد الفلاسفة* الذي عرض فيه لنظرياتهم ومواقفهم عرضا دقيقا واضحا. مما دفع خصوم الفلسفة إلى اتهامه بأنه قد خدم الفلسفة أيما خدمة في كتابه هذا؛ لكن الغزالي كان أبعد نظرا لأنه بما فعله قد طبق منهجه القائم على أن تفنيد أي مذهب وقبوله أو رفضه يكون بعد الوقوف على حقيقته، وهذا ما فعله حين سطر كتابه *مقاصد الفلاسفة*.

كانت بعد ذلك الخطوة الثانية ألا وهي تأليف كتاب *تهافت الفلاسفة*، وهو كتاب الهدم والردّ والنّقض، والذي كان له دور في مسار تاريخ الفلسفة والنّظرة إليها من قبل المسلمين.

وتجدر الإشارة إلى أن الغزالي لم يطو صفحة الفلسفة إلى غير رجعة، فما كان لرجل له عقل الغزالي الحصيف اليقظ الفعال أن يقفل الباب على ناحية من نواحي الحياة الفكرية نهائيا.

ويعدد الغزالي في كتابه "المنقذ" أصناف الفلاسفة وأقسام علومهم ويرى أن الفلاسفة: "على كثرة أصنافهم يلزمهم وصف الكفر والإلحاد وإن كان بين القدماء منهم والأقدمين، وبين الأواخر منهم والأوائل، تفاوت عظيم في البعد عن الحق والقرب منه".

لكن ما هي الزاوية التي نظر منها الغزالي إلى الفلاسفة والفلسفة حتّى قال عنهم ما قال؟

والجواب: أنّ الغزالي قد نظر إلى الفلاسفة من زاوية مطابقتها للعقيدة والإيمان؛ لأنّه قد وجد:

أ – أنّ الفلاسفة (أو بعضهم على الأقل) قد آمنوا بالله وصفاته، ولكنهم جحدوا اليوم الآخر.

ب – أنّهم لم يقبلوا (في الأمور الإلهيّة) بحشر الأجساد، وقالوا بأن المثاب والمعاقب هي الأرواح المجردة والمثوبات والعقوبات روحانيّة لا جسمانيّة.

ج – وأنّهم قالوا إن الله تعالى يعلم الكليات دون الجزئيّات.

د – وقالوا بقدم العالم وأزليته وفي هذا تسوية بين الخالق والمخلوق.

وهذه الأمور المجملة هنا فصلها الغزالي في كتابه *تهافت الفلاسفة*.

### 3 – مذْهب الباطنيّة أو أهل التّعليم:

بعد الفراغ من علم الفلسفة وشأنها بدا للإمام الغزالي أن يبحث عن مقالات الفرقة التّعليميّة؛ أي الجماعة الباطنيّة وخاصّة الإسماعليّة التي لا تعترف للعقل بأيّ دور في مجال المعرفة، وتريد أن تتلقّى كلّ الحقائق من الإمام المعصوم فقط الذي يوجد في زعمها في كلّ زمان ...

وقد اتّفقت رغبة الغزالي في توضيح مذهبهم والرد عليه، خاصة بعد ورود «أمر جازم من حضرة الخلافة بتصنيف كتاب يكشف عن حقيقة مذهبهم...

فصار ذلك مستحثّا من الخارج وضميمة للباعث الأصلي من الباطن".

وقد صنّف الغزالي في الردّ على الباطنية ومقارعتهم بالحجّة والبرهان خمسة كتب على الأقلّ هي:

أ – حجّة الحقّ؛

ب – ومفصل الخلاف؛

ج – والدرج المرقوم بالجداول؛

د – والقسطاس المستقيم؛

هـ – وفضائح الباطنيّة.

وإذا نحن أمعنا النّظر بما جاء في المنقذ.. فالنّقطة الرئيسية التي حاج فيها الغزالي أهل التعليم هي موقفهم من نظرية الإمام المعصوم... وهو لا يقبل بهذا الأمر، لأنّ البلاغ الإلهي حمل ما يدل على أنّ الرّسالة كملت مع الرّسول محمّد (ص) في قوله تعالى: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم..﴾، وأنّ الرسول نفسه حض من عاصروه على الاجتهاد إن لم يرد حكم فيما يعرض لهم، لا في النص القرآني ولا في السنة النبوية .

إنّ التعليميّة يعطلون- بانتظارهم المعلم- كل جهد فكري، ويلغون الاجتهاد -وهو أساسي في الإسلام-، كما أنّ تأويلاتهم تشوش عقائد النّاس، وبناءً عليه لم يكن عندهم ما يفي بمقصود الغزالي، ولا سواه ممن يطلبون علمًا يقينًا يكون معه الوضوح والثقة، والأمان من الخطأ.

### 4 – الصّوفيّة:

بعد أن انتهى الغزالي من نقد المتكلّمين، والفلاسفة، والباطنيّة لم يبق أمامه في مجال البحث عن الحقيقة إلاّ تعاليم الطائفة الأخيرة، وهي طائفة الصوفيّة؛ فماذا كان موقفه منها كما عرضه في المنقذ؟

والجواب أن الأمر يختلف مع الصّوفيّة بالنّسبة للغزالي، فهو لم يتعرف إليهم ليبين أخطاءهم أو يرفض أمورهم جملة وتفصيلا. ذلك لأنّ الغزالي على ما يقرر في المنقذ، لما هم بالتعرف إلى طرق الصّوفيّة، وقرأ ما كتبوا، رأى أن الأمر الأهم بالنّسبة لهم هو العمل الذي يكسب بالذّوق والسّلوك، واتّجه بنفسه ليتعرف على هذا الطريق واقعا.

– ثانيا: أنّه كان قد حصل معه من العلوم التي مارسها والمسالك التي سلكها في البحث والتّفتيش عن صنفي العلوم الشرعية والعقلية: "إيمان يقيني بالله تعالى، وبالنبوة، واليوم الآخر"، لأنّ للنّاس اضطرار للنّبوّة ولهم حاجة ماسّة إليها.

ويؤكّد الغزالي أنّ هذه الأصول الثلاثة من الإيمان كانت قد رسخت في نفسه لا بدليل معين محرر، بل بأسباب وقرائن وتجارب لا تدخل تحت الحصر تفاصيلها.

وقد دخل الغزالي هذه التجربة الصوفية التي أساسها العلم والعمل، وقرّر أنّ تحصيل العلم من كتب الصّوفية أمر ممكن، لكنّ الصّعب أن يسلك الإنسان طريقهم في الزّهد والتّوبة، والعمل لتصفية القلب، والسّير على درب الورع والخشوع الموصل إلى القرب من

الله –تعالى–. إنّ زبدة التّصوّف لا يكون الوصول إليها بالتّعلّم، بل بالذّوق والحال وتبدل الصّفات.

عند هذا الحد بدأ الصّراع الداخلي في ذات الغزالي، المعتقد بأصول الإيمان؛ وهو الإيمان بالله –تعالى–، وبالنّبوّة، وباليوم الآخر، والفقيه المتشبّع بأصول الفقه والفقه، وله فيه تآليف، وهذا الصّراع كان بين اتّجاهيْن:

أ – اتجاه يجذبه إلى مواصلة عمله في تدريس العلم، وكسب ما فيه صلاح الدّنيا، وإشباع الحاجات والميول.

ب – اتّجاه إيماني يناديه كي يستعدّ للرّحيل من الدّنيا، ويعدّ للآخرة عدّتها.

هذا هو الشكّ المنهجي، وهو ركن في قواعد المنهج البحثي عند الغزالي، وهو غير الشكّ الارتيابي الذي لا شاطئ له، بل ما عند الغزالي تأمّل ذاتيّ واستبصار، ووقفة مع تأمّل من قبل شخص ينشد الحقيقة والاطمئنان القلبي.

وجدير بالذّكر أنّ الغزالي قد بان له من خلال ممارسة طرق الصّوفيّة حقيقة النّبوّة وخاصيتها. فبعد أن عرّف الصّوفيّة الصّحيحة بعد تمحيصها... ثابر على التّمسّك بها حتّى آخر حياته. وكان أثره في ردّ التصوف إلى حظيرة النّبوةّ كبيرًا.

وصفوة القول إنّ كتاب *المنقذ من الضّلال* يعدّ سيرة ذاتيّة عقليّة روحيّة، وسياحة داخليّة في أعماق نفس الرّجل، أراد منها أن يبيّن كيف انتهى إلى ما انتهى إليه بعد معاناة شاقّة في آفاق التّفكير والبحث عن المعرفة اليقينيّة.

# كتاب المنقذ من الضّلال
# والموصل إلى ذي العزّة والجلال

## لأبي حامد الغزالي

بسم الله الرّحمن الرّحيم

# توْطئة

الحمد لله الذي يفتتح بحمده كلّ رسالة ومقالة، والصّلاة على محمّد المصطفى، صاحب النّبوّة والرّسالة، وعلى آله وأصحابه الهادين من الضّلالة.

أمّا بعد،

فقد سألتني أيّها الأخ في الدّين، أن أبثّ إليك غاية العلوم وأسرارها، وغائلة المذاهب وأغوارها، وأحكي لك ما قاسيته في استخلاص الحقّ من بين اضطراب الفرق، مع تباين المسالك والطرق؛ وما استجرأتُ عليه من الارتفاع عن حضيض التّقليد، إلى يفَاعٍ[1] الاستفسار[2]؛ وما استفدْته أوّلاً من علم الكلام، وما اجتَوْيْته[3] ثانيًا من طرق أهل التّعليم القاصرين لدرك الحقّ على تقليد الإمام، وما ازدريته ثالثًا من طرق التّفلسف، وما ارتضيته آخرًا من طريقة التّصوّف؛ وما انجلى لي في تضاعيف تفتيشي عن أقاويل الخلق، من لباب الحقّ؛ وما صرفني عن نشر العلم ببغداد، مع كثرة الطّلبة؛ وما دعاني[4] إلى معاودته بنيْسابورَ[5] بعد طول المدّة.

---

[1] اليفاع : المكان المرتفع.

[2] في ق: الاستبصار.

[3] يقال: اجتوى الطعام: كرهه.

[4] في ش: **ردني**.

[5] في ش: **معاودتي نيسابور**.

فابتدرْتُ لإجابتك إلى مطلبك، بعد الوقوف على صدق رغبتك، وقلتُ مستعينًا بالله ومتوكّلاً عليه، ومستوثقًا[1] منه، وملتجئًا إليه:

اعْلموا –أحسن الله تعالى إرشادكم، وألاَنَ للحقّ قيادكم– أنّ اختلاف الخلق في الأديان والملل، ثم اختلاف الأئمّة في المذاهب، على كثرة الفرق وتباين الطّرق، بحر عميق غرق فيه الأكثرون، وما نَجَا منه إلاّ الأقلّون؛ وكلّ فريق يزعم أنّه النّاجي، و﴿كلُّ حزبٍ بما لدَيهْم فرحون﴾[2] هو الذي وعدنا به سيّد المرسلين– صلوات الله عليه–، وهو الصّادق الصّدوق[3] حيث قال: "ستفترق أمّتي ثلاثاً وسبعين فرقة النّاجية منها واحدة"[4]. فقد كان ما وعد أن يكون.

ولم أزل في عنفوان شبابي وريعان عمري، منذ راهقتُ البلوغ قبل بلوغ العشرين إلى الآن، وقد أناف السنّ على الخمسين، أقتحم لجّة هذا البحر العميق، وأخوض غَمرَتهُ خَوْضَ الجَسُور، لا خَوْضَ الجبان الحذور، وأتوغّل في كلّ مظلمة، وأتهجّم على كلّ مشكلة، وأقتحم كلّ ورطة، وأتفحّص عن عقيدة كلّ فرقة، وأستكشف أسرار مذهب كلّ طائفة لأميّز بين مُحقّ ومبطل، ومتسنّن ومبتدع[5]، لا أغادر باطنيًّا إلاّ وأحبّ أن أطّلع على باطنيّته[6]، ولا ظاهريًّا إلاّ وأريد أن أعلم حاصل ظاهريّته، ولا فلسفيًّا إلاّ وأقصد الوقوف على كنه فلسفته، ولا متكلّمًا إلاّ وأجتهد في الإطّلاع على غاية كلامه ومجادلته، ولا صوفيًّا إلاّ وأحرص على العثور على سرّ صوفيّته[7]، ولا متعبّدًا إلاّ وأترصّد ما يرجع إليه حاصل عبادته، ولا زنديقاً[8] معطّلاً[9] إلاّ وأتجسّس[10] وراءه للتّنبّه لأسباب جرأته في تعطيله

---

[1] في ق: **مستوفقًا**.

[2] سورة المؤمنون (23)، الآية 53.
سورة الرّوم (30)، الآية 32.

[3] في ق: **المصدوق**.

[4] رواه أحمد وأبو دواد وابن ماجة والترمذي بلفظ أخر.

[5] مبتدع: لغويًّا مخترع وأصبح اصطلاحًا على المحدث المكروه في الدّين.

[6] في ش: **بطانته**: أي السريرة وهنا العقيدة الباطنة.

[7] في ق: صفوته.

[8] في لسان العرب: الزّنديق القائل ببقاء الدّهر.

وزندقته.

وقد كان التّعطّش إلى درك حقائق الأمور دأبي وديدني من أوّل أمري وريعان عمري، غريزة وفطرة من الله وُضِعَتَا في جِبِلَّتي، لا باختياري وحيلتي؛ حتّى انحلّت عنّي رابطة التّقليد وانكسرت علَيَّ العقائد الموروثة على قرب عهد سنّ[1] الصّبا، إذ رأيتُ صبيان النّصارى[2] لا يكون لهم نشوءٌ إلاّ على التنصُّر، وصبيان اليهود[3] لا نشوء لهم إلاّ على التّهوّد، وصبيان المسلمين لا نشوء لهم إلاّ على الإسلام. وسمعتُ الحديث المرويّ عن رسول الله –صلّى

---

[9] المعطّل هو الذي ينكر صفات الخالق.

[10] في ش: **واتحسس**.

[1] في ش : شِرَّة، والشرة بكسر الشين المعجمة وفتح الراء المشدّدة: الحدّة والنّشاط.

[2] المعهود في عصرنا استعمال لفظ: مسيحيّ. ولكنّ النّصوص القرآنيّة والحديثة لا تذكر غير لفظ: نصرانيّ، نصارى. وقد اختُلف كثيرا في معرفة إذا كانت مشتقّة أو منقولة عن صفة أو معربّة. فأرجعها البعض إلى "ناصريّ" نسبة إلى ناصرة، أو إلى "أنصاري"، باعتبار أنّ الحواريّين أنصار الله كما جاء في القرآن الكريم، وأرجعها آخرون –كالزّمخشري– إلى نصران ونصرانة، بمعنى أنّهم نصروا المسيح. وفي *موسوعة الدّين والأخلاق* (ج3/ص574) لفظة "نصرانيّة" و"نصارى" تطلق في العربيّة على أتباع المسيح. يرى بعض المستشرقين أنّها من أصل سريانيّ هو: نصرويو Nosroyo ونصرايا Nasraya. ويرى البعض الآخر أنّها من Nazarenes التّسمية العبرانيّة التي أطلقها اليهود على من اتّبع ديانة المسيح.

انظر: *تفسير الرّازي*، ج3/ص105؛ *المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام* لجواد علي، ج6/ص586؛ *القاموس الإسلامي* لهيوقس، ص431؛ *الموسوعة المختصرة للإسلام* بإشراف هـ. جب، ص440 إلى ص444.

[3] يقول الشّهرستاني في كتاب *الملل والنّحل* (ج2/ص210 إلى ص219): "هاد الرّجل: أي رجع وتاب. وإنّما لزمهم هذا الاسم لقول موسى –عليه السّلام–: "إنّا هدنا إليك": أي رجعنا وتضرّعنا. وهم أمّة موسى –عليه السّلام– وكتابهم التّوراة، وهو أوّل كتاب نزل من السّماء... واليهود تدّعي أنّ الشّريعة لا تكون إلاّ واحدة، وهي ابتدأت بموسى –عليه السّلام– وتمّت به، فلم تكن قبله شريعة إلاّ حدود عقليّة وأحكام مصلحيّة... ومسائلهم تدور على جواز النّسخ ومنعه، وعلى التّشبيه ونفيه، والقول بالقدر والجبر، وتجويز الرّجعة واستحالتها... وأشهر فرق اليهود هي: العنانيّة، العيسويّة، المقاربة واليوذعانيّة، السّامرة".

الله عليه وسلّم- حيث قال[1]: "كلّ مولودٍ يولدُ على الفطرةِ فأبواهُ يُهودّانه وينُصّرانه ويُمجّسَانه"[2].

فتحرّك باطنيّ إلى طلب حقيقة الفطرة الأصليّة، وحقيقة العقائد العارضة بتقليد الوالدين والأستاذين[3]، والتّمييز بين هذه التّقليدات، وأوائلها تلقينات، وفي تمييز الحقّ منها عن الباطل اختلافات؛ فقلتُ في نفسي: أوّلاً[4] إنّما مطلوبي العلم بحقائق الأمور، فلا بُدّ من طلب حقيقة العلم ما هي؟ فظهر لي أنّ العلم اليقينيّ هو الذي ينْكشف[5] فيه المعلوم انكشافًا لا يبْقى معه ريْب، ولا يقارنه[6] إمكان الغلط والوهم، ولا يتّسع القلب لتقدير ذلك؛ بل الأمان من الخطإ ينبغي أن يكون مقارنًا لليقين مقارنة لو تحدّى بإظهار بطلانه مثلاً مَن يقلب الحجر ذهبًا والعصا ثعبانًا، لم يورث ذلك شكًّا وإنكارًا؛ فإنّي إذا علمتُ أنّ العشرة أكثر من الثّلاثة، فلو قال لي قائل: لا، بل الثّلاثة أكثر [من العشْرة] بدليل أنّي أقلب هذه العصا ثعبانًا، وقلبها، وشاهدتُ ذلك منه، لم أشكّ بسببه في معرفتي، ولم يحْصل لي منه إلاّ التّعجّب من كيفيّة قدرته عليه! فأمّا الشكّ[7] فيما علمته، فلا.

ثمّ علمتُ أنّ كلّ ما لا أعلمه على هذا الوجه، ولا أتيقّنه هذا النّوع من اليقين، فهو علم لا ثقة به ولا أمان معه، وكلّ علم لا أمان معه، فليس بعلْم يقينيّ.

---

[1] في ش : **يقول**.

[2] رواه أحمد والبخاري ومسلم بلفظ آخر.

[3] جمع أستاذ فارسي معرب، ويجمع أيضًا على أساتذة وأساتيذ.

[4] في ش : بدون أولاً.

[5] في ش : **يكشف**.

[6] في ق: **يفارقه**.

[7] في ق زاد : **بسببه**.

# مَدَاخِلُ السَفْسَطة
# وجَحْد العُلوم

ثمّ فتّشتُ عن علومي، فوجدتُ نفسي عاطلاً من علم موصوف بهذه الصّفة إلاّ في الحسّيات والضّروريّات.

فقلتُ: الآن بعد حصول اليأس، لا مطمع في اقتباس المشكلات إلاّ من الجليَّات، وهي الحسّيات والضّروريّات، فلا بدّ من إحْكامها أوّلاً لأتيقّن أنّ ثقتي[1] بالمحسوسات، وأماني من الغلط في الضّروريّات، من جنس أماني الذي كان من قَبلُ في التّقليديّات، ومن جنس أمان أكثر الخلق في النّظريّات، أم هو أمان محققٌ لا غدر فيه ولا غائلة له؟

فأقبلتُ بجدّ بليغ أتأمّل المحسوسات والضّروريّات، وأنظر هل يمكنني أن أشكّك نفسي فيها؛ فانتهى بي طول التّشكّك[2] إلى أن لم تسْمح نفسي بتسليم الأمان في المحسوسات أيضًا، وأخذتْ تتّسع للشكّ فيها وتقول[3]: من أين الثّقة بالمحسوسات[4]، وأقواها حاسّة البصر؟

وهي تنظر إلى الظلّ، فتراه واقفًا غير متحرّك، وتحكم بنفي الحركة؛ ثمّ بالتّجربة والمشاهدة، بعد ساعة، تعرف أنّه متحرّك، وأنّه لم يتحرّك دفعة واحدة بغتة، بل على التّدريج ذرّة ذرّة، حتّى لم يكن[5] له حالة وقوف.

وتنظر إلى الكوكب فتراه صغيرًا في مقدار دينار[6]، ثمّ الأدلّة الهندسيّة تدلّ على أنّه أكبر من الأرض في المقدار.

وهذا وأمثاله من المحسوسات يحكم فيها حاكم الحسّ بأحكامه، ويكذّبه حاكم العقل ويخوّنه تكذيبًا لا سبيل إلى مدافعته.

---

[1] في ش: **أثقتي**.

[2] في ش: **التشكيك**.

[3] في ش: **وأخذ يتسع هذا الشك فيها ويقول**.

[4] في ق: **بالحواس**.

[5] في ش: **تكن**.

[6] في ش : **الدينار**.

فقلتُ: قد بطلت الثّقة بالمحسوسات أيضًا، فلعلّه لا ثقة إلاّ بالعقليّات التي هي من الأوّليات، كقولنا: العشرة أكثر من الثّلاثة؛ والنّفي والإثبات لا يجتمعان في الشّيء الواحد؛ والشّيء الواحد لا يكون حادثًا قديمًا، موجودًا معدومًا، واجبًا محالاً.

فقالت المحسوسات: بمَ تأْمَن أن تكون ثقتك بالعقليّات كثقتك بالمحسوسات، وقد كنتَ واثقًا بي، فجاء حاكم العقل فكذّبني، ولولا حاكم العقل لكنتَ تستمرّ على تصديقي؟ فلعلّ وراء إدراك العقل حاكمًا آخر، إذا تجلّى، كذّب العقل في حكمه؛ كما تجلّى حاكم العقل، فكذّب الحسّ في حكمه؛ وعدم تجلّي ذلك الإدراك، لا يدلّ على اسْتحالته.

فتوقّفت النّفس في جواب ذلك قليلاً، وأيّدت إشكالها بالمنام، وقالت: أَمَا تراك تعتقد في النّوم أمورًا، وتتخيّل أحوالاً، وتعتقد لها ثباتًا واستقرارًا، ولا تشكّ في تلك الحالة فيها؛ ثم تستيقظ، فتعلم أنّه لم يكن لجميع متخيّلاتك ومعتقداتك أصل وطائل؛ فبِمَ تأمن أن يكون جميع ما تعتقده في يقظتك بحسّ أو عقل هو حقّ بالإضافة إلى حالتك [التي أنت فيها]؟

لكن يمكن أن تطرأ عليك حالة تكون نسبتها إلى يقظتك، كنسبة يقظتك إلى منامك، وتكون يقظتك نومًا بالإضافة إليها! فإذا وردتْ تلك الحالة تيقّنتَ أنّ جميع ما توهّمتَ بعقلك خيالات لا حاصل لها!

ولعلّ تلك الحالة ما تدّعيه[1] الصّوفيّة أنّها حالتهم، إذ يزعمون أنّهم يشاهدون في أحوالهم التي (لهم)، إذا غاصوا في أنفسهم، وغابوا عن حواسّهم، أحوالاً لا توافق هذه المعقولات.

ولعلّ تلك الحالة هي الموت، إذ قال رسول الله –صلّى الله عليه وسلّم–: "النّاسُ نيامٌ فإذا ماتوا انتبهوا"[2].

---

[1] في د: **يدعيه** و في ش : **ندعية** والصواب ما ثبتناه في النص.

[2] يقول في ش: **أنه ليس بحديث ولكن من كلام على بن أبى طالب –رضي الله عنه–.**

فلعلّ الحياة الدّنيا نوم بالإضافة إلى الآخرة. فإذا مات ظهرت له الأشياء على خلاف ما يشاهده الآن، ويقال له عند ذلك: ﴿فكشفنا عنكَ غطاءكَ فبصرُكَ اليومَ حديدٌ﴾[1].

فلمّا خطرت[2] لي هذه الخواطر وانقدحت في النّفس، حاولت لذلك علاجًا فلم يتيسر، إذ لم يكن دفعه إلاّ بالدّليل، ولم يمكن نصب دليل إلاّ من تركيب العلوم الأوّليّة؛ فإذا لم تكن مسلّمة لم يمكن تركيب الدّليل.

فأعْضل هذا الدّاء[3]، ودام قريبًا من شهريْن أنا فيهما على مذهب السّفسطة بحكم الحال، لا بحكم النّطق والمقال؛ حتّى شفى الله –تعالى– من ذلك المرض، وعادت النّفس إلى الصحّة والاعتدال، ورجعت الضّروريّات العقليّة مقبولة موثوقًا بها على أمن ويقين.

ولم يكن ذلك بنظم دليل وترتيب كلام، بل بنور قذفه الله –تعالى– في الصّدر، وذلك النّور هو مفتاح أكثر المعارف.

فمَن ظنّ أنّ الكشف موقوف على الأدلّة المحرَّرة، فقد ضيّق رحمة الله [–تعالى–] الواسعة.

ولما سُئِل رسول الله –صلّى الله عليه وسلّم– عن الشّرح ومعْناه في قوله –تعالى–: ﴿فمَن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام﴾[4]، قال: "هو نور يقذفه الله –تعالى– في القلب"، فقيل: "وما علامته ؟"، قال: "التّجافي عن دار الغُرُورِ والإنابة إلى دارِ الخُلُود"[5].

---

[1] سورة ق (50)، الآية 22.

[2] في ش : **خطر**.

[3] هذه الحالة التي تسمى فترة الشك وهي غير الأزمة التي أدت بالغزالي إلى ترك بغداد، وهي الأزمة الأولى، وهي بطابعها غير روحانية وإنّما هي معرفية. ويرى البعض أن هذا الشكّ مشابه لما حصل للعالم الفرنسي رينيه ديكارت راجع في ذلك ما كتبه أحمد شمس الدين في حاشية *المنقذ* من تحقيقه ص 29 وما كتبه عبد الرحمن بدوي في مقالة بعنوان: *أوْهام حوْل الغزالي* في كتاب أبو حامد الغزالي: دراسات في فكره وعصره وتأثيره، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط لعام 1988 م.

[4] سورة الأنعام (6)، الآية 125.

[5] ذكره ابن كثير في تفسيره بطرق مرسلة ومتصلة يشد بعضها بعضًا.

وهو الذي قال –صلّى الله عليه وسلّم– فيه: "إنّ الله –تعالى– خلق الخلقَ في ظُلْمةٍ ثمّ رشَّ عليهمْ من نُورِهِ"[1].

فمن ذلك النّور ينبغي أن يُطلَب الكشف، وذلك النّور ينبجس من الجود الإلهيّ في بعض الأحايين، ويجب التّرصّد له، كما قال –صلّى الله عليه وسلّم–: "إنّ لربّكم في أيّامِ دهركم نفحاتٌ ألا فتعرّضُوا لها"[2].

والمقصود من هذه الحكايات: أن يعمل كمال الجدّ في الطلب، حتّى ينتهي إلى طلب ما لا يطلب. فإنّ الأوّليات ليست مطلوبة، فإنّها حاضرة. والحاضر إذا طُلِب فُقِد[3] واختفى. ومَن طلب ما لا يطلب، فلا يُتَّهَم بالتّقصير في طلب ما يطلب.

---

[1] رواه أحمد والترمذي والحاكم بلفظ آخر.

[2] رواه الطبراني والسّيوطي في الفتح الكبير بلفظ أخر قريب، والبيهقي وأبو هريرة بلفظ آخر، وأبو نعيم عن أنس.

[3] في ش: **نفر**.

# القَولُ فى أصنَافِ الطَّالبْين

ولما شفاني الله من هذا المرض بفضله وسعة جوده، انحصرت أصناف الطّالبين عندي في أربع فرَق:

**1 – المتكلّمون**: وهم يدَّعون أنّهم أهل الرّأي والنّظر.

**2 – الباطنيّة**[1]: وهم يزعمون أنّهم أصحاب التّعليم والمخصوصون بالاقتباس من الإمام المعصوم.

**3 – الفلاسفة**: وهم يزعمون أنّهم أهل المنطق والبرهان.

**4 – الصّوفيّة**[2]: وهم يدعون أنّهم خواصّ الحضرة، وأهْل المشاهدة والمكاشفة.

---

[1] تشير هذه اللّفظة إلى مدلولين متلازمين: الأوّل: أنّهم يفرّقون بين ظاهر النصّ وباطنه. فالنصّ الظّاهر هو مجرّد رموز لفهم باطنيّ خاصّ، كاعتبار الوضوء موالاة الإمام، والتّيمّم هو الأخذ من المأذون عند غيبة الإمام، الصّلاة، النّطق، والغسل: تجديد العهد، والجنّة: راحة الأبدان من التّكاليف، والنّار مشقّتها بمزاولة التّكاليف. والثّاني: أنّهم يفرّقون بين المجتمع والدّولة الظّاهرتين، والمجتمع السرّيّ والدّولة الباطنيّة التي لها عهودها والتزاماتها ورتبها. ولهذا اعتبرت هذه الدّعوة مجوسيّة الأصل، والمقصود بها هدم شريعة الإسلام وعقائدها وهدم دولة الإسلام. وقد تمثّل هذا أيّاما تمثّل في الحركات الباطنيّة السّياسيّة بمختلف أشكلها وعقائدها. وقد اعتبر البغدادي أنّ ضرر الباطنيّة السّياسيّة بمختلف أشكالها وعقائدها أعظم من ضرر اليهود والنّصارى والمجوس والدّهريّة بل والدجّال! يقول: "الذي يصحّ عندي من دين الباطنيّة أنّهم دهريّة زنادقة يقولون بقدم العالم وينكرون الرّسل، والشّرائع كلّها عليها إلى استباحة كلّ ما يميل إليه الطّبع. والدّليل على أنّهم كما ذكرناه ما قرأته في كتابهم المترجَم *بالسّياسة والبلاغ الأكيد والنّاموس الأعظم*، وهي رسالة عبيد الله بن الحسين القيرواني إلى سليمان بن الحسن بن سعيد الجنّابي". ويظهر من كتاب *الملل والنّحل* للشّهرستاني أنّ الباطنيّة كانوا يسمّون في العراق: القرامطة، وفي خراسان: الملاحدة، وأنّهم من فرق الإسماعيليّة، وأنّ مذهبهم نشأ في منتصف القرن الثّالث، ويمتازون عن فرق الشّيعة باسم الإسماعيليّة، وأنّهم لا يثبتون الوجود والعدم لله، ولا العلم ولا الجهل، ولا القدرة ولا العجز، لأنّ الإثبات الحقيقيّ له –سبحانه– يقتضي الشّركة بينه وبين سائر الموجودات، وذلك يؤدّي إلى التّشبيه. ولا يحكمون عليه بالإثبات المطلَق، ولا بالنّفي المطلَق، لأنّه إله المتقابلين.

انظر: *عقيدة الشّيعة الإماميّة* للسّيّد هاشم معروف، ص236–ص237.

[2] طرح تعريف هذا الاصطلاح على المختصّين مشكلتين أساسيّتين: الأولى: في اشتقاقه ونشأته تاريخيّا. الثّانية: في مدلوله وتعريفه. يرى فريق من العلماء أنّ أصله يعود إلى لبس الصّوف: شعار الأنبياء

فقلتُ في نفْسي: الحقّ لا يعدو هذه الأصناف الأربعة، فهؤلاء هم السّالكون سبل طلب الحقّ، فإن شذَّ الحقّ عنهم، فلا يبْقى في درك الحقّ مطمع، إذ لا مطْمع في الرّجوع

---

والأصفياء، كالطّوسي وابن خلدون. ويرى آخرون أنّه نسبة إلى أهل الصّفة وإلى الصّفوف معا، كالكلاباذي. بينما يرى القشيري أنّ الكلمة جامدة وأنّها تجري على غير قياس، وأنّه لا يشهد لهذا الاسم اشتقاق من جهة العربيّة ولا قياس، ولهذا فالأظهر أنّه كاللّقب. وهناك تفسيرات اشتقاقيّة أخرى كالصّوفانة: بقلة صحراويّة، أو صوفة قوم كانوا يقومون على خدمة الكعبة، أو صوفة القفا أي الشّعرات التي تنبت في متأخّرة أمن الصّفاء. وهناك تفسير ذكره البيروني في *تحقيق ما للهند من مقولة*، وهو أنّ الصّوفيّة هم الحكماء، لأنّ سوفيا باليونانيّة هي الحكمة. ولم يخل رأي من هذه الآراء من النقّد. أمّا بالنّسبة لمدلول هذه اللّفظة، فلها عدّة تعريفات، منها: التّحلّق بالأخلاق الإلهيّة (القاشاني)، الوقوف مع الآداب الشّرعيّة ظاهرا وباطنيّا، وهي الأخلاق الإلهيّة (محيي الدّين بن عربي والجرجاني)، "قطع عقبات النّفس والتّنزّه عن أخلاقها المذمومة وصفاتها الخبيثة، حتّى يُتوصّل بها إلى تخلية القلب عن غير الله –تعالى– وتحليته بذكر الله" (الغزالي)، "هو علم يُعرف به كيفيّة ترقّي أهل الكمال من النّوع الإنسانيّ في مدارج سعادتهم والأمور العارضة لهم في درجاتهم بقدر الطّاقة البشريّة" (حاجّي خليفة والقنوجي) ... إلى غير ذلك من التّعريفات التي قدّمها الصّوفيّة أنفسهم للتّصوّف. وما تعدّد هذه التّعريفات وتضاربها فيما بينها إلاّ دليلا قاطعا على استحالة حدّ هذا المفهوم حدّا منطقيّا عقلانيّا مضبوطا.

انظر: *التّعرّف لمذهب أهل التّصوّف*، ص21 إلى ص26؛ *تلبيس إبليس* لابن الجوزي، ص161 إلى ص163؛ *المنقذ من الضّلال* للغزالي، ص35؛ *مقدّمة* ابن خلدون، ص863 إلى ص882؛ *تحقيق ما للهند من مقولة* للبيروني، ص24–ص25؛ *الرّسالة القشيريّة* بشرحي الأنصاري والعروسي، ج4/ص2 إلى ص4؛ *التّصوّف في الأدب والأخلاق* لزكي مبارك، ج1/ص41 إلى ص55؛ *تاريخ التّصوّف الإسلامي* لعبد الرّحمان بدوي؛ *الحياة الرّوحيّة في الإسلام* لمصطفى حلمي، ص102 إلى ص112؛ *نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام* لسامي النشّار، ج3/ص36 إلى ص42؛ *التّصوّف في الإسلام* لعمر فرّوخ؛ *نشأة التّصوّف الإسلامي* لإبراهيم بسيوني، ص17 إلى ص32؛ *مدخل التّعريفات* للجرجاني، ص61–ص62؛ *اصطلاحات الصّوفيّة* للقاشاني، ص156؛ *عوارف المعارف* للسّهروردي، ص53 إلى ص64؛ *كشف الظّنون*، ج1/ص413–ص414؛ *أبجد العلوم* لصدّيق بن حسن القنوجي، ج2/ص152 إلى ص164؛ مادّة *تصوّف* في *المعجم الفلسفي* لجميل صليبا، ج1/ص282 إلى ص284.

إلى التّقليد بعد مفارقته.

ومن شرط المقلِّد[1] أن لا يعلم أنّه مقلِّد، فإذا علم ذلك انكسرت زجاجة تقليده، وهو شعب[2] لا يرأب[3]، وشعث[4] لا يلمّ بالتّلفيق والتّأليف، إلاّ أن يذاب بالنّار، ويستأنف له صنعة أخرى مستجدّة.

فابتدرتُ لسلوك هذه الطّرق، واستقصاء ما عند هذه الفرق:

- مبتدئاً بعلم الكلام؛
- ومثنّيًا بطريق الفلسفة؛
- ومثلّثًا بتعلّم الباطنيّة؛
- ومربّعًا بطريق الصّوفيّة.

---

[1] في ش: **إذ من شرط المقلد**.

[2] **الشِّعب** بكسر الشين المعجمة وسكون العين المهملة انفراج بين الجبلين، والمراد هنا شق.

[3] لا يرأب : لا يصلح.

[4] شعث: ما تفرق من الأمور.

# عِلْمُ الكَلَامِ

## مَقْصُودُه وحَاصِلُه

# عِلْمُ الكَلَام
# مَقْصُوده وحَاصِله

ثمّ إنّي ابتدأتُ بعلم الكلام، فحصَّلتُه وعقلتُه، وطالعتُ كتب المحقّقين منهم، وصنّفتُ فيه ما أردتُ أن أصنّف، فصادفته علمًا وافيًا بمقصوده، غير وافٍ بمقصودي.

وإنّما المقصود منه[1]: حفظ عقيدة أهل السنّة [على أهل السنّة]، وحراستها عن تشويش أهل البدعة.

فقد ألْقى الله -تعالى- إلى عباده على لسان رسوله عقيدة هي الحقّ، على ما فيه صلاح دينهم ودنياهم، كما نطق بمعرفته القرآن والأخبار؛ ثمّ ألقى الشّيطان في وساوس المبتدعة أمورًا مخالفة للسنّة، فلهجوا[2] بها وكادوا يشوّشون عقيدة الحقّ على أهلها.

فأنْشأ الله -تعالى- طائفة المتكلّمين، وحرّك دواعيهم لنصرة السنّة بكلام مرتَّب، يكشف عن تلبيسات أهل البدع المحدَثَة، على خلاف السنّة المأثورة؛ فمنه نشأ علم الكلام وأهله.

ولقد قام طائفة منهم بما ندبهم الله -تعالى- إليه، فأحسنوا الذبّ عن السنّة، والنّضال عن العقيدة المتلقّاة بالقبول من النّبوّة، والتّغيير في وجه ما أحدث من البدعة، ولكنّهم اعتمدوا في ذلك على مقدّمات تسلّموها من خصومهم، واضطرّهم إلى تسليمها: إمّا التّقليد، أو إجماع الأمّة، أو مجرّد القبول من القرآن والأخبار.

وكان أكثر خوضهم في استخراج مناقضات الخصوم، ومؤاخذتهم بلوازم مسلّماتهم.

---

[1] في ش: مقصوده.

[2] لهج بالأمر: أولع به فثابر عليه واعتاده.

وهذا قليل النّفع في حقّ[1] مَن لا يسلّم سوى الضّروريّات شيئًا أصلاً، فلم يكن الكلام في حقّي كافيًا، ولا لدائي الذي كنتُ أشكوه شافيًا.

نعم، لما نشأت صنعة الكلام، وكثر الخوض فيه، وطالت المدّة، تشوّق المتكلّمون إلى محاولة الذبّ عن السنّة بالبحث عن حقائق الأمور، وخاضوا في البحث عن الجواهر والأعراض[2] وأحكامها.

ولكن لما لم يكن ذلك مقصود علمهم، لم يبلغ كلامهم فيه الغاية القصوى، فلم يحصل منه ما يمحق[3] بالكلّية ظلمات الحيرة في اختلافات الخلق؛ ولا أبعدُ أن يكون قد حصل ذلك لغيري!

بل لستُ أشكّ في حصول ذلك لطائفة، ولكن حصولاً مشوبًا بالتّقليد في بعض الأمور التي ليست من الأوّليّات!

والغرض الآن: حكاية حالي، لا الإنكار على مَن استشفى به، فإنّ أدوية الشّفاء تختلف باختلاف الدّاء. وكم من دواء ينتفع به مريض ويستضرّ به آخر!

---

[1] في ش: **جنب**.

[2] الجوهر: الأصل وفي المصطلح الماهية. العرض هو الذي يحتاج إلى موضع يقوم به كاللون المحتاج الى جسم يحله.

[3] في ش: **يمحو**.

# الفَلْسَفَة

# الفَلْسَفَة

– محصولها.
– المذموم منها وما لا يُذَمّ.
– وما يُكفَّر به قائله وما لا يُكفَّر به.
– وما يبتدع فيه وما لا يبتدع.
– وبيان ما سرقه الفلاسفة من كلام أهل الحقّ.
– وبيان ما مزجوه بكلام أهل الحقّ لترويج باطلهم في درج ذلك.
– وكيفيّة عدم قبول البشر، وحصول نفرة النّفوس من ذلك الحقّ الممزوج بالباطل.
– وكيفيّة استخْلاص الحقّ الخالص من الزّيف والبهرج من جملة كلامهم.[1]

ثمّ إنّي ابتدأتُ، بعد الفراغ من علم الكلام، بعلم الفلسفة؛ وعلمتُ يقينًا أنّه لا يقف على فساد نوع من العلوم، مَن لا يقف على منتهى ذلك العلم، حتّى يساوي أعلمهم في أصل [ذلك] العلم، ثمّ يزيد عليه ويجاوز درجته، فيطّلع على ما لم يطّلع عليه صاحب العلم من غور[2] وغائله؛ وإذا ذاك[3] يمكن أن يكون ما يدّعيه من فساده حقًّا. ولم أَرَ أحدًا من علماء الإسلام صرَف عنايته وهمّته إلى ذلك.

ولم يكن في كتب المتكلّمين من كلامهم، حيث اشتغلوا بالردّ عليهم، إلاّ كلمات معقَّدة مبدّدة، ظاهرة التّناقض والفساد، لا يظنّ الاغترار بها بعاقل[4] عامّي، فضلاً عمّن يدّعي دقائق العلوم.

---

[1] جميع هذه النقط الثمانية زائدة في نسخة أحمد شمس الدين و الوراق.

[2] في ش: **غوره**.

[3] في ش: **فإذذاك**.

[4] في ش: **بغافل**.

فعلمتُ أنّ ردّ المذهب قبل فهمه والإطّلاع على كنهه[1] رمي في عماية؛ فشمّرتُ عن ساق الجدّ، في تحصيل ذلك العلم من الكتب، بمجرّد المطالعة من غير استعانة بأستاذ، وأقبلتُ على ذلك في أوقات فراغي من التّصنيف والتّدريس في العلوم الشّرعيّة، وأنا ممنو[2] بالتّدريس والإفادة لثلاثمائة نفر من الطّلبة ببغداد.

فأطلعني الله –سبحانه [وتعالى]– بمجرّد المطالعة في هذه الأوقات المختلَسة، على منتهى علومهم في أقلّ من سنتيْن.

ثمّ لم أزل أواظب على التّفكّر فيه بعد فهمه قريبًا من سنة، أعاوده وأردّده وأتفقّد غوائله وأغواره، حتّى اطّلعت على ما فيه من خداع وتلبيس، وتحقيق وتخييل، اطّلاعًا لم أشكّ فيه.

فاسْمع الآن حكايتهم [3]وحكاية حاصل علومهم، فإنّي رأيتهم أصنافًا، ورأيتُ علومهم أقسامًا.

وهم، على كثرة أصنافهم، يلزمهم وصمة[4] الكفر والإلحاد، وإن كان بين القدماء منهم والأقدمين، وبين الأواخر منهم والأوائل، تفاوت عظيم في البعد عن الحقّ والقرب منه.

---

[1] كنهه: قدر الشيء ونهايته يقال : بلغت كنه هذا الأمر أي غايته. لسان اللسان.

[2] ممنو : مبتلًى به.

[3] في ش : **حكايته**.

[4] في ش : **سمة**.

# أَصْنَاف الفَلَاسفةَ
# وشُمول وَصْمَة الكُفرَ كافَّتهمُ[1]

اعلم أنّهم، على كثرة فرقهم واختلاف مذاهبهم، ينقسمون إلى ثلاثة أقسام: الدّهريّون، والطّبيعيون، والإلهيّون.

**– الصّنف الأوّل: الدّهريّون:** وهم طائفة من الأقدمين جحدوا الصّانع المدبّر، العالم القادر، وزعموا أنّ العالم لم يزل موجودًا كذلك بنفسه بلا صانع، ولم يزل الحيوان من النّطفة، والنّطفة من الحيوان؛ كذلك كان، وكذلك يكون أبدًا. وهؤلاء هم الزّنادقة.

**– والصّنف الثّاني: الطّبيعيّون:** وهم قوم أكثروا بحثهم عن عالم الطّبيعة، وعن عجائب الحيوان والنّبات، وأكثروا الخوض في علم تشريح أعضاء الحيوانات، فرأوا فيها من عجائب صنع الله –تعالى– وبدائع حكمته، ممّا اضطرّوا معه إلى الاعتراف بفاطر[2] حكيم، مطّلع على غايات الأمور ومقاصدها. ولا يطالع التّشريح وعجائب منافع الأعضاء مطالع، إلاّ ويحصل له هذا العلم الضّروريّ بكمال تدبير الباني لبنية الحيوان، لا سيما بنية الإنسان.

إلاّ أنّ هؤلاء، لكثرة بحثهم عن الطّبيعة، ظهر عندهم –لاعتدال المزاج– تأثير عظيم في قوام قوى الحيوان به، فظنّوا أنّ القوّة العاقلة من الإنسان تابعة لمزاجه أيضًا، وأنّها تبطل ببطلان مزاجه فتنعدم[3]. ثم إذا انعدمت[4]، فلا يعقل إعادة المعدوم كما زعموا. فذهبوا إلى أنّ النّفس تموت ولا تعود، فجحدوا الآخرة، وأنكروا الجنّة والنّار، [والحشْر والنّشْر]،

---

[1] في ش: **أصناف الفلاسفة واتصاف كافتهم بالكفر**.

[2] في ش: **بقادر**.

[3] في ش: **فينعدم**.

[4] في ش: **انعدم**.

والقيامة والحساب؛ فلم يبق عندهم للطّاعة ثواب، ولا للمعصية عقاب؛ فانحلّ عنهم اللّجام وأنهمكوا في الشّهوات انْهماك الأنعام.

وهؤلاء أيضًا زنادقة، لأنّ أصْل الإيمان هو الإيمان بالله واليوم الآخر. وهؤلاء جحدوا اليوم الآخر، وإن آمنوا بالله وصفاته.

– **والصّنف الثّالث: الإلهيّون:** وهم المتأخّرون منهم، [مثل]: سقراط[1]، وهو أستاذ أفلاطون[2]، وأفلاطون أستاذ أرسطاطاليس. وأرسطاطاليس هو الذي رتّب [لهم] المنطق، وهذَّب لهم العلوم، وحرّر لهم ما لم يكن محرَّرًا من قبلُ، وأنضَجَ لهم ما كان فِجًّا من علومهم.

---

[1] هو سقراط بن سقراطيس، من أهل مدينة أثينا. وقد تكلّم سقراط على الفلسفة بكلام لم يدروا منه كثير شيء. والذي خرج من كتبه: *مقالة في السّياسة*، وقيل إنّ رسالته في السّيرة الجميلة له صحيح. وسقراطيس معناه ماسك الصحّة. وكان زاهدًا خطيبًا حكيمًا، وقتله اليونانيّون لأنّه خالفهم. وكان الملك الذي تولّى قتله: أرطاخشت. ومن أصحاب سقراط: أفلاطون. وقال إسحاق بن حنين: عاش سقراط قريبًا ممّا عاش أفلاطون، وقد عاش أفلاطون ثمانين سنة.

حول ترجمته راجع: *الفهرست* لابن النّديم، ص245.

[2] أفلاطون: من كتاب فلوطرخس: أفلاطون بن أرسطن، ومعناه: الفسيح. وذكر ثاون أنّ أباه يُقال له أسطرن، وأنّه كان من أشراف اليونانيّين. وكان في قديم أمره يميل إلى الشّعر، فأخذ منه بحظّ عظيم، ثمّ حضر مجلس سقراط فرآه يثلب الشّعر فتركه، ثمّ انتقل إلى قول فيثاغورس في الأشياء المعقولة. وعاش فيما يُقال إحدى وثمانين سنة. وعنه أخذ أرسطوطاليس وخلفه بعد موته. وقال إسحاق أنّه أخذ عن بقراط. وتوفّي أفلاطون في السّنة التي وُلد فيها الإسكندر، وهي السّنة الثّالثة عشر من ملك لاوخوس وخلفه أرسطوطاليس، وكان الملك في ذلك الوقت بمقدونية فيلبس أبو الإسكندر. من خطّ إسحاق: عاش أفلاطون ثمانين سنة. ما ألّفه من الكتب، على ما ألّفه ثاون ورتّبه، *كتاب السّياسة*، *كتاب النّواميس*. قال ثاون: وأفلاطون يجعل كتبه أقوالاً يحكيها عن قوم، ويسمّي ذلك الكتاب باسم المصنّف له. فمن ذلك قول سمّاه تالجيس في الفلسفة، قول سمّاه لاخس في الشّجاعة، قول سمّاه خرميدس في العفّة، قولان سمّاهما *القيبادس* في الجميل...

حول ترجمته راجع: الفهرست لابن النّديم، ص 245 – ص 246. بيروت. د. ت.

وهم بجملتهم ردّوا على الصّنفيْن الأوّليْن من الدّهريّة والطّبيعيّة، وأوردوا في الكشف عن فضائحهم ما أغنوا به غيرهم. ﴿وكفى الله المؤمنين القتال﴾[1] بتقاتلهم.

ثمّ ردّ أرسطاطاليس على أفلاطون وسقراط، ومَن كان قبلهم من الإلهيّين، ردًّا لم يقصّر فيه، حتى تبرّأ عن جميعهم؛ إلّا أنّه استبقى أيضًا من رذائل[2] كفرهم وبدعتهم بقايا لم يوفّق للنّزوع عنها[3]، فوجب تكفيرهم، وتكفير شيعتهم[4] من المتفلسفة الإسلاميّين، كابن سينا والفارابي وغيرهم[5].

على أنّه لم يقم بنقل علم أرسطاطاليس أحد من متفلسفة الإسلاميّين كقيام هذيْن الرجليْن. وما نقله غيرهما ليس يخلو من تخبيط وتخليط يتشوّش فيه قلب المطالع حتّى لا يفهم. وما لا يُفهم كيف يُردّ أو يُقبل؟

ومجموع ما صحّ عندنا من فلسفة أرسطاطاليس، بحسب نقل هذيْن الرّجليْن، ينحصر في ثلاثة أقسام:

1- قسم يجب التّكفير به.

2- وقسم يجب التّبديع به.

3- وقسم لا يجب إنكاره أصلاً، فلْنفصّلْه[6].

---

[1] سورة الأحزاب (33)، الآية 25.

[2] في ق: **رذاذ**.

[3] في ش : **للنزع منها**.

[4] في ش : **متبعيهم**.

[5] في ق: **أمثالهما**، وفي ش **غيرهما**.

[6] ناقص في ش : **فلنفصله**.

# أَقْسَامِ عُلومِهم

اعْلم: أنّ علومهم -بالنّسبة إلى الغرض الذي نطلبه- ستّة أقسام: رياضيّة، ومنطقيّة، وطبيعيّة، وإلهيّة، وسياسيّة، وخلقيّة.

**1 - أمّا الرّياضية:** فتتعلّق بعلم الحساب، والهندسة، وعلم هيئة العالم[1]؛ وليس يتعلّق شيء منها بالأمور الدّينيّة نفيًا وإثباتًا، بل هي أمور برهانيّة لا سبيل إلى مجاحدتها[2] بعد فهمها ومعرفتها.

وقد تولّدت منها آفتان:

**- إحداهما[3] الأولى:** أنّ مَن ينظر فيها يتعجّب من دقائقها، ومن ظهور براهينها، فيحسن بسبب ذلك اعتقاده في الفلاسفة، ويحْسب أنّ جميع علومهم في الوضوح [وفي] وثاقة البرهان كهذا العلم. ثمّ يكون قد سمع من كفرهم وتعطيلهم وتهاونهم بالشّرع ما تناولته الألسن، فيكفر بالتّقليد المحض ويقول: لو كان الدّين حقًّا لَمَا اختفى على هؤلاء مع تدقيقهم في هذا العلم! فإذا عرف بالتّسامع كفرهم وجحدهم[4] استدلّ[5] على أنّ الحقّ هو الجحد والإنكار للدّين.

وكم رأيتُ ممَّن يضلّ[6] عن الحقّ بهذا العذر[7] ولا مستند له سواه!

---

[1] في ش: **العلم**.

[2] في ش: **محاجدتها**.

[3] ناقص في ش : **إحداهما**.

[4] في ق: **جورهم**.

[5] في ش : **فيستدل**.

[6] في ش : **ضل**.

[7] في ش: **القدر**.

وإذا قيل له: الحاذق في صناعة واحدة ليس يلزم أن يكون حاذقًا في كلّ صناعة، فلا يلزم أن يكون الحاذق في الفقه والكلام حاذقًا في الطبّ، ولا أن يكون الجاهل بالعقليّات جاهلاً بالنّحو، بل لكلّ صناعة أهل بلغوا فيها [رتبة] البراعة والسّبق، وإن كان الحمْق والجهل قد يلزمهم في غيرها.

فكلام الأوائل في الرّياضيّات برهانيّ، وفي الإلهيّات تخمينيّ، لا يعرف ذلك إلاّ مَن جرّبه وخاض فيه.

فهذا، إذا قرّر على هذا الذي ألحَدَ[1] بالتّقليد، لم يقع منه موقع القبول، بل تحمله غلبة الهوى، والشّهوة الباطلة، وحبّ التّكايس، على أن يصرّ على تحسين الظنّ بهم في العلوم كلّها.

فهذه آفة عظيمة لأجلها يجب زجر كلّ مَن يخوض في تلك العلوم؛ فإنّها، وإن لم تتعلّق بأمر الدّين، ولكن لما كانت من مبادئ علومهم، سرى[2] إليه شرّهم وشؤمهم؛ فقلّ مَن يخوض فيها إلاّ وينخلع من الدّين وينحلّ عن رأسه لجام التّقوى.

– **الآفة الثّانية**: نشأت من صديق للإسلام جاهل، ظنّ أنّ الدّين ينبغي أن يُنصر بإنكار كلّ علم منسوب إليهم؛ فأنكر جميع علومهم وادّعى جهلهم فيها، حتّى أنكر قولهم في الكسوف والخسوف، وزعم أنّ ما قالوه على خلاف الشّرع.

فلمّا قرع ذلك سمْع مَن عرف ذلك بالبرهان القاطع، لم يشكّ في برهانه، ولكن اعتقد أنّ الإسلام مبنيٌّ على الجهل وإنكار البرهان القاطع، فيزداد للفلسفة حبًّا وللإسلام بغضًا.

ولقد عظم على الدّين جناية مَن ظنّ أنّ الإسلام يُنصَر بإنكار هذه العلوم، وليس في الشّرع تعرّض لهذه العلوم بالنّفي والإثبات، ولا في هذه العلوم تعرّض للأمور الدّينيّة.

---

[1] في ش: **اتخذ**.

[2] في ش: **يسرى**.

وقوله –صلّى الله عليه وسلّم–: "إنّ الشّمس والقمر آيتان من آياتِ الله –تعالى– لا ينخسفانِ لموتِ أحدٍ ولا لحياته. فإذا رأيتم ذلك، فافزعوا إلى ذكر الله –تعالى– وإلى الصّلاة"[1].

وليس في هذا ما يوجب إنكار علم الحساب المعرِّف بمسير الشّمس والقمر، واجتماعهما أو مقابلهما على وجه مخصوص.

أمّا قوله –عليه السّلام–: "لكنّ الله إذا تجلّى لشيء خضع لهُ"، فليس توجد هذه الزّيادة في الصّحاح أصلاً.

فهذا حكْم الرّياضيّات وآفتها.

**2 – وأمّا المنطقيّات**: فلا يتعلّق شيءٌ منها بالدّين نفيًا وإثباتًا، بل هي [2]النّظر في طرق الأدلّة والمقاييس، وشروط مقدّمات البرهان وكيفيّة تركيبها، وشروط الحدّ الصّحيح وكيفيّة ترتيبه.

وأنّ العلم إمّا تصوّرٌ، وسبيل معرفته الحدّ؛ وإمّا تصديق، وسبيل معرفته البرهان.

وليس في هذا ما ينبغي أن ينكر، بل هو من جنس ما ذكره المتكلّمون وأهل النّظر في الأدلّة، وإنّما يفارقونهم بالعبارات والاصطلاحات، بزيادة الاستقْصاء في التّعريفات والتّشعيبات، ومثال كلامهم فيها قولهم: إذا ثبت أنّ كل "أ" "ب" لزم أن بعض "ب" "أ"، أي إذا ثبت أنّ كلّ إنسان حيوان، لزم أنّ بعض الحيوان إنسان. ويعبّرون عن هذا بأنّه الموجبة الكلّية تنعكس موجبة جزئيّة.

وأيّ تعلّق لهذا بمهمّات الدّين حتّى يُجحَد ويُنكَر؟ فإذا أُنكِر لم يحصل من إنكاره عند أهل المنطق إلاّ سوء الاعتقاد في عقل المنكِر، بل في دينه الذي يزعم أنّه موقوف على مثل هذا الإنكار.

---

[1] روي هذا الحديث بأسانيد وطرق مختلفة. يوجد في البخاري وأحمد والنسائي وابن ماجة ومالك.

[2] في ش: هو.

نعم، لهم نوعٌ من الظّلم في هذا العلم، وهو أنّهم يجمّعون للبرهان شروطًا يعلم أنّها تورث اليقين لا محالة، لكنّهم عند الانتهاء إلى المقاصد الدّينيّة ما أمكنهم الوفاء بتلك الشّروط، بل تساهلوا غاية التّساهل. وربّما ينظر في المنطق أيضًا مَن يستحسنه ويراه واضحًا، فيظنّ أنّ ما ينقل عنهم من الكفريّات مؤيّد بمثل تلك البراهين، فاستعجل بالكفر قبل الانتهاء إلى العلوم الإلهيّة.

فهذه الآفة أيضًا متطرّقة إليه.

**3 –** وأمّا (علم) **الطّبيعيّات**: فهو بحث[1] عن عالم السّماوات، وكواكبها، وما تحتها من الأجسام المفردة: كالماء والهواء والتّراب والنّار؛ وعن الأجسام المركَّبة: كالحيوان والنّبات والمعادن؛ وعن أسباب تغيّرها واستحالتها وامتزاجها.

وذلك يضاهي بحث الطبّ[2] عن جسم الإنسان وأعضائه الرّئيسة[3] والخادمة، وأسباب استحالة مزاجه.

وكما ليس من شرط الدّين إنكار علم الطبّ، فليس من شرطه أيضًا إنكار ذلك العلم، إلاّ في مسائل معيّنة، ذكرناها في كتاب *تهافت الفلاسفة*. وما عداها ممّا يجب المخالفة فيها، فعند التّأمّل يتبيّن أنّها مندرجة تحتها.

وأصل جملتها: أن تعلم[4] أنّ الطّبيعة مسخّرَة لله –تعالى–، لا تعمل بنفسها، بل هي مستعمَلة من جهة فاطرها.

والشّمس والقمر والنّجوم والطّبائع مسخَّرات بأمره، لا فعل لشيءٍ منها بذاته عن ذاته[5].

---

[1] في ش: **يبحث**.

[2] في ش: **الطبيب**.

[3] في ش: **الرئيسية**.

[4] في ش: **يعلم**.

[5] نقص في ش : **عن ذاته**.

**4 – وأمّا الإلهيّات:** ففيها أكثر أغاليطهم، فما قدروا على الوفاء بالبرهان على ما شرطوه في المنطق، ولذلك كثر الاختلاف بينهم فيها.

ولقد قرب مذهب أرسطاطاليس[1] فيها من مذاهب الإسلاميّين، على ما نقله الفارابي[2] وابن سينا[3].

---

[1] هو الفيلسوف اليوناني المشهور عند فلاسفة الإسلام باسم المعلّم الأوّل. وُلد سنة 384 ق. م. وتوفّي سنة 322 ق. م. من مصنّفاته: *المقولات*، *والعبارة*، *والقياس*، *والبرهان*، *والجدل*، *والأغاليط*، *والسّماع الطّبيعي*، *والميتافيزيقا* (ما بعد الطّبيعة) *والأخلاق إلى نيقوماخوس والخطابة والشّعر*... كان صاحب مدرسة فلسفيّة في الأنطولوجيا، والمعرفة، والأخلاق، والسّياسة، ظلّ تأثيرها حتّى قيام الفلسفة الحديثة مع ريني ديكارت.

حول ترجمته راجع: *تاريخ الفلسفة اليونانيّة* ليوسف كرم، *تاريخ الفكر الفلسفي* لمحمّد علي أبو ريّان؛ *أرسطو* لعبد الرّحمان بدوي؛ *تاريخ الفلسفة اليونانيّة* لمحمّد عبد الرّحمان مرحبا.

[2] أبو نصر الفارابي: جاء في وفيّات الأعيان لابن خلّكان: "هو أبو نصر محمّد بن محمّد بن طرخان بن أوزلغ الفارابي التّركي، الحكيم المشهور، صاحب التّصانيف في المنطق والموسيقى وغيرها من العلوم. وكان رجلاً تركيًّا ولده في بلده و نشأ؛ ثمّ خرج من بلده و تنقّلت به الأسفار إلى أن وصل إلى بغداد، وهو يعرف اللّسان التّركي وعدّة لغات غير العربي، فشرع في اللّسان العربي فتعلّمه وأتقنه غاية الإتقان، ثمّ اشتغل بعلوم الحكمة. ولما دخل بغداد كان بها أبو بشر متّى بن يونس الحكيم المشهور، وكان يقرأ النّاس عليه في المنطق، وهو يقرأ كتاب أرسطوطاليس في المنطق ويملي على تلامذته شرحه، فكتب عنه في شرحه سبعون سفرًا. فأقام أبو نصر كذلك برهة، ثمّ ارتحل إلى مدينة حرّان وفيها يوحنّا بن حيلان الحكيم النّصرانيّ، فأخذ عنه طرفًا من المنطق أيضًا؛ ثمّ إنّه قفل راجعًا إلى بغداد وقرأ بها علوم الفلسفة، وتناول جميع كتب أرسطوطاليس وتمهّر في استخراج معانيها والوقوف على أغراضه فيها. ويُقال إنّه وجد كتاب النّفس لأرسطوطاليس وعليه مكتوب بخطّ أبي نصر الفارابي: "إنّي قرأتُ هذا الكتاب مائتيْ مرّة". ونقل عنه أنّه كان يقول: "قرأتُ *السّماع الطّبيعي* لأرسطوطاليس الحكيم أربعين مرّة، وأرى أنّي محتاج إلى معاودة قراءته". ويروى عنه أنّه سئل: "مَن أعلم النّاس بهذا الشّأن أنت أم أرسطوطاليس؟"، فقال: "لو أدركته لكنتُ أكبر تلاميذه". ولم يزل أبو نصر ببغداد منكبًّا على الاشتغال بهذا العلم والتّحصيل له إلى أن برز فيه، وألّف بها معظم كتبه؛ ثمّ سافر منها إلى دمشق، ولم يقم بها؛ ثمّ توجّه إلى مصر، وقد ذكر أبو نصر في كتابه الموسوم بالسّياسة المدنيّة" أنّه ابتدأ بتأليفه في بغداد وأكمله بمصر؛ ثمّ عاد إلى دمشق وأقام بها، وسلطانها يومئذ سيف الدّولة بن حمدان، فأحسن

ولكنّ مجْموع ما غلطوا فيه يرجع إلى عشرين أصلاً، يجب تكفيرهم في ثلاثة منها، وتبديعهم في سبعة عشر.

ولإبطال مذهبهم في هذه المسائل العشرين صنّفنا كتاب *التّهافت*.

أمّا المسائل الثّلاث، فقد خالفوا فيها كافة الإسلاميّين[1]، وذلك في قولهم:

---

إليه. وأجرى عليه سيف الدّولة كلّ يوم من بيت المال أربعة دراهم، وهو الذي اقتصر عليها لقناعته. ولم يزل على ذلك إلى أن توفّي في سنة تسع و ثلاثين وثلاثمائة بدمشق، وصلّى عليه سيف الدّولة في أربعة من خواصّه، وقد ناهز ثمانين سنة، ودُفن بظاهر دمشق خارج باب الصّغير".

حول ترجمته راجع: ابن خلّكان، وفيّات الأعيان، ج 5 / ص 153 إلى ص 157؛ الفهرست لابن النّديم، ص 263؛ تاريخ الحكماء، ص 277؛ طبقات صاعد، ص 53؛ عبر الذّهبي، ج 2/ ص 251؛ تاريخ ابن العبري، ص 170؛ الوافي، ج 1 / ص 106؛ عيون الأنباء، ج 2 / ص 136.

[3] أبو علي بن سينا: ممّا أورده بشأنه ابن أبي أصيبعة في كتاب *عيون الأنباء*: "هو الشّيخ الرّئيس، شيخ الفلاسفة والأطبّاء أبو عليّ الحسين بن عبد الله بن الحسن بن عليّ بن سينا البلخي ثمّ البخاري. وُلِد بخرميشن في بخارى سنة 370 هـ. وتوفّي بهمذان سنة 428 هـ. وكانت له رحلات كثيرة. ومصنّفاته عديدة مشتهرة سواء الطبّيّة منها أو الفلسفيّة: منها القانون، والشّفاء والنّجاة، وعيون الحكمة، ومنطق المشرقيّين".

حول ترجمته راجع: عيون الأنباء لابن أبي أصيبعة، ج 2 / ص 2 إلى ص 20؛ تاريخ الحكماء للقفطي، ص 268 إلى ص 278؛ وفيّات الأعيان *لابن خلّكان، ج1 / ص 269*؛ لسان الميزان، ج 2 / ص 291 إلى ص 293؛ شذرات الذّهب *للعماد الحنبلي*، ج 3 / ص 233 إلى ص 237؛ تاريخ الفلسفة في الإسلام لدي بور، ص 53 إلى ص 66؛ تاريخ فلاسفة الإسلام لمحمّد لطفي جمعة، ص 53 إلى ص 66؛ تاريخ الفلسفة العربيّة لجميل صليبا، ص 201 إلى ص 280؛ من الفلسفة اليونانيّة إلى الفلسفة الإسلاميّة لمحمّد عبد الرّحمان مرحبا، ص 474 إلى ص 578؛ تاريخ الفلسفة العربيّة لحنّا الفاخوري وخليل الجرّ، ج 2 / ص 157 إلى ص 235؛ تاريخ الفلسفة الإسلاميّة لهنري كوربان، ص 254 إلى ص 265؛ موسوعة الفلسفة لعبد الرّحمان بدوي، ج 1 / ص 40 إلى ص 67؛ معجم المؤلّفين، ج 4 / ص 20 إلى ص 23؛ مجلّة "التّراث العربي"، عدد 5 – 6 (عدد خاص بمناسبة ألفيّة ابن سينا).

[1] في ق: **المسلمين**.

1 – إنّ الأجساد لا تُحْشر، وإنّما المثاب والمعاقَب هي الأرواح المجرَّدة، والمثوبات والعقوبات روحانيّة لا جسمانيّة.

ولقد صدقوا في إثبات الرّوحانيّة، فإنّها ثابتة[1] أيضًا؛ ولكن كذبوا في إنكار الجسمانيّة، وكفروا بالشّريعة فيما نطقوا به.

2 – ومن ذلك قولهم: "إن الله –تعالى– يعلم الكلّيّات دون الجزئيّات".

وهذا أيضًا كفر صريح، بل الحقّ أنّه: ﴿لا يعزب عنه مثقال ذرّةٍ في السّمواتِ ولا في الأرضِ﴾[2].

3 – ومن ذلك: قولهم بقدم العالم وأزليّته، فلم يذهب أحد من المسلمين إلى شيء من هذه المسائل.

وأمّا ما وراء ذلك من نفيهم الصّفات، وقولهم إنّه عالم بالذّات، لا بعلم زائد على الذّات، وما يجري مجراه، فمذهبهم فيها قريب من مذهب المعتزلة، ولا يجب تكفير المعتزلة بمثل ذلك.

وقد ذكرنا في كتاب *فيصل التّفرقة بين الإسلام والزّندقة* ما يتبيّن به فساد رأي مَن يتسارع إلى التّكفير في كلّ ما يخالف مذْهبه.

4 – وأمّا **السّياسيّات**: فجميع كلامهم فيها يرجع إلى الحكم المصلحيّة المتعلّقة بالأمور الدّنيويّة والإيالة السّلطانيّة.

وإنّما أخذوها من كتُب الله المنزَّلة على الأنبياء، ومن الحِكَم المأثورة عن سلف الأنبياء [–عليهم السّلام–].

---

[1] في ق: **كائنة**.

[2] سورة سبأ (34)، الآية 3.

5 – وأمّا **الخلقيّة**: فجميع كلامهم فيها يرجع إلى حصر صفات النّفس وأخلاقها، وذكر أجناسها وأنواعها، وكيفيّة معالجتها ومجاهدتها.

وإنّما أخذوها من كلام الصّوفيّة[1]، وهم المتألّهون المواظبون على ذكر الله –تعالى–،

---

[1] طرح تعريف هذا الاصطلاح على المختصّين مشكلتين أساسيّتين: الأولى: في اشتقاقه ونشأته تاريخيّا. الثّانية: في مدلوله وتعريفه. يرى فريق من العلماء أنّ أصله يعود إلى لبس الصّوف: شعار الأنبياء والأصفياء، كالطّوسي وابن خلدون. ويرى آخرون أنّه نسبة إلى أهل الصّفة وإلى الصّفوف معا، كالكلاباذي. بينما يرى القشيري أنّ الكلمة جامدة وأنّها تجري على غير قياس، وأنّه لا يشهد لهذا الاسم اشتقاق من جهة العربيّة ولا قياس، ولهذا فالأظهر أنّه كاللّقب. وهناك تفسيرات اشتقاقيّة أخرى كالصّوفانة: بقلة صحراويّة، أو صوفة قوم كانوا يقومون على خدمة الكعبة، أو صوفة القفا أي الشّعرات التي تنبت في متأخّرة أمن الصّفاء. وهناك تفسير ذكره البيروني في *تحقيق ما للهند من مقولة*، وهو أنّ الصّوفيّة هم الحكماء، لأنّ سوفيا باليونانيّة هي الحكمة. ولم يخل رأي من هذه الآراء من النقّد. أمّا بالنّسبة لمدلول هذه اللّفظة، فلها عدّة تعريفات، منها: التّخلّق بالأخلاق الإلهيّة (القاشاني)، الوقوف مع الآداب الشّرعيّة ظاهرا وباطنيّا، وهي الأخلاق الإلهيّة (محيي الدّين بن عربي والجرجاني)، "قطع عقبات النّفس والتنزّه عن أخلاقها المذمومة وصفاتها الخبيثة، حتّى يُتوصّل بها إلى تخلية القلب عن غير الله –تعالى– وتحليته بذكر الله" (الغزالي)، "هو علم يُعرف به كيفيّة ترقّي أهل الكمال من النّوع الإنسانيّ في مدارج سعادتهم والأمور العارضة لهم في درجاتهم بقدر الطّاقة البشريّة" (حاجّي خليفة والقنوجي) ... إلى غير ذلك من التّعريفات التي قدّمها الصّوفيّة أنفسهم للتّصوّف. وما تعدّد هذه التّعريفات وتضاربها فيما بينها إلاّ دليلا قاطعا على استحالة حدّ هذا المفهوم حدًّا منطقيًّا عقلانيًّا مضبوطًا.

انظر: *التّعرّف لمذهب أهل التّصوّف*، ص21 إلى ص26؛ *تلبيس إبليس* لابن الجوزي، ص161 إلى ص163؛ *المنقذ من الضّلال* للغزالي، ص35؛ *مقدّمة* ابن خلدون، ص863 إلى ص882؛ *تحقيق ما للهند من مقولة* للبيروني، ص24–ص25؛ *الرّسالة القشيريّة* بشرحي الأنصاري والعروسي، ج4/ص2 إلى ص4؛ *التّصوّف في الأدب والأخلاق* لزكي مبارك، ج1/ص41 إلى ص55؛ *تاريخ التّصوّف الإسلامي* لعبد الرّحمان بدوي؛ *الحياة الرّوحيّة في الإسلام* لمصطفى حلمي، ص102 إلى ص112؛ *نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام* لسامي النشّار، ج3/ص36 إلى ص42؛ *التّصوّف في الإسلام* لعمر فرّوخ؛ *نشأة التّصوّف الإسلامي* لإبراهيم بسيوني، ص17 إلى ص32؛ *مدخل التّعريفات* للجرجاني، ص61–ص62؛ *اصطلاحات الصّوفيّة* للقاشاني، ص156؛ *عوارف المعارف* للسّهروردي، ص53 إلى ص64؛ *كشف الظّنون*، ج1/ص413–ص414؛ *أبجد العلوم* لصدّيق بن

وعلى مخالفة الهوى وسلوك الطّريق إلى الله –تعالى– بالإعراض عن ملاذِّ الدّنيا.

وقد انْكشف لهم في مجاهدتهم من أخلاق النّفس وعيوبها، وآفات أعمالها ما صرّحوا بها، فأخذها الفلاسفة ومزجوها بكلامهم، توسّلاً بالتّجمّل بها إلى ترويج باطلهم.

ولقد كان في عصرهم، بل في كلّ عصر، جماعة من المتأهّلين، لا يُخلي الله [–سبحانه–] العالم عنهم، فإنّهم أوتاد الأرض، ببركاتهم تنزل الرّحمة على أهل الأرض كما ورد في الخبر، حيث قال –صلّى الله عليه وسلّم–: "بهم تمطرون، وبهم ترزقون، ومنهم كان أصحاب الكهف"[1].

وكانوا في سالف الأزمنة، على ما نطق به القرآن، فتولّد من مزجهم كلام النّبوّة وكلام الصّوفيّة بكتبهم آفتان: آفة في حقّ القابل، وآفة في حقّ الرّادّ:

1 – أمّا **الآفة التي في حقّ الرّادّ** فعظيمة، إذ ظنّت طائفة من الضّعفاء أنّ ذلك الكلام إذا كان مُدوَّنًا في كتبهم، وممزوجًا بباطلهم، ينبغي أن يُهجَر ولا يُذكَر بل يُنكَر على [كلّ] مَن يذكره، إذ لم يسمعوه أوّلاً إلاّ منهم؛ فسبق إلى عقولهم الضّعيفة أنّه باطل، لأنّ قائله مُبطل؛ كالذي يسمع من النّصرانيّ قوله: "لا إله إلاّ الله عيسى رسول الله"، فينْكره ويقول: "هذا كلام النّصارى"، ولا يتوقّف ريثما يتأمّل أنّ النّصرانيّ كافر باعتبار هذا القول، أو باعتبار إنكاره نبوّة محمّد –عليه الصّلاة والسّلام–!؟ فإن لم يكن كافرًا إلاّ باعتبار إنكاره، فلا ينبغي أن يخالَف في غير ما هو به كافر ممّا هو حقّ في نفسه، وإن كان أيضًا حقًّا عنده.

وهذه عادة ضعفاء العقول، يعرفون الحقّ بالرّجال، لا الرّجال بالحقّ. والعاقل يقتدي بسيّد العقلاء[2] عليّ[3] –رضي الله عنه–[4] حيث قال: "لا تعرف الحقّ بالرّجال، بل اعرف

---

حسن القنوجي، ج2/ص152 إلى ص164؛ مادّة *تصوّف* في *المعجم الفلسفي* لجميل صليبا، ج1/ص282 إلى ص284.

[1] الحديث ليس له تخريج في ش.

[2] في ق زاد : **بقول أمير المؤمنين**.

الحقّ تعْرف أهله".

والعارف العاقل يعرف الحقّ، ثم ينظر في نفس القول: فإن كان حقًّا، قبله سواء كان قائله مبطلاً أو محقًّا، بل ربّما يحرص على انتزاع الحقّ من أقاويل[1] أهل الضّلال، عالمًا بأنّ معدن الذّهب الرغام.

ولا بأس على الصرّاف إن أدخل يده في كيس القلاّب، وانتزع الإبريز الخالص من الزّيف والبهرج، مهما كان واثقًا ببصيرته.

وإنّما يُزْجَر عن معاملة القلاّب القرويُّ، دون الصّيرفيّ البصير؛ ويُمْنَع من ساحل البحر الأخرقُ، دون السبّاح الحاذق؛ ويُصَدّ عن مسّ الحيّة الصّبيّ، دون المعزِّم البارع.

ولعمْري! لما غلب على أكثر الخلق ظنّهم بأنفسهم الحذاقة والبراعة، وكمال العقل وتمام الآلة في تمييز الحقّ عن الباطل، والهدى عن الضّلالة، وجب حسم الباب في زجر الكافة عن مطالعة كتب أهل الضّلال ما أمكن، إذ لا يسلمون عن الآفة الثّانية التي سنذكرها أصلاً، وإن سلموا عن هذه الآفة التي ذكرناها.

ولقد اعْترض على بعض الكلمات المبثوثة في تصانيفنا في أسرار علوم الدّين، طائفة من الذين لم تستحكم في العلوم سرائرهم، ولم تنفتح إلى أقصى غايات المذاهب بصائرهم، وزعمتْ أنّ تلك الكلمات من كلام الأوائل، مع أنّ بعضها من مولّدات الخواطر –ولا يبعد أن يقع الحافر على الحافر–، وبعضها يوجد في الكتب الشّرعيّة، وأكثرها موجود معناه في كتب الصّوفيّة.

---

[3] في ق زاد: **بن أبي طالب**.

[4] واسم أبي طالب: عبد المناف بن عبد المطّلب. ويُكنى عليّ أبا الحسن. وأمّه فاطمة بنت أسد بن هامش بن عبد مناف بن قصيّ. وكان له من الولد الحسن والحسين وزينب الكبرى وأمّ كلثوم الكبرى. وأمّهم فاطمة بنت الرّسول. لما قُتل عثمان بويع لعليّ بن أبي طالب بالمدينة يوم الجمعة 13 ذي الحجّة من سنة 35 هـ. توفّي مقتولاً بالكوفة في شعبان سنة 38 هـ.

حول ترجمته راجع: *تاريخ الخلفاء* للسّيوطي، ص185 إلى ص211.

[1] في ق: **تضاعيف كلام**.

وهبْ أنّها لم توجد إلاّ في كتبهم، فإذا كان ذلك الكلام معقولاً في نفسه، مؤيَّدًا بالبرهان، ولم يكن على مخالفة الكتاب والسنّة، فلمَ ينبغي أن يهجر ويترك؟

فلو فتحْنا هذا الباب، وتطرّقنا إلى أن يهجر كلّ حقّ سبق إليه خاطر مبطل، لَلَزمنا أن نهجر كثيرًا من الحقّ، ولزمنا أن نهجر جملة آيات من آيات القرآن وأخبار الرّسول –صلّى الله عليه وسلّم– وحكايات السّلف وكلمات الحكماء والصّوفيّة، لأنّ صاحب كتاب إخوان الصّفا[1] أوردها في كتابه مستشهدًا بها، ومستدرجًا قلوب الحمقى بواسطتها إلى باطله.

ويتداعى ذلك إلى أن يستخرج المبطلون الحقّ من أيدينا بإيداعهم إيّاه كتبهم.

وأقلّ درجات العالم: أن يتميّز عن العامّي الغُمر، فلا يعاف العسل، وإن وجده في محجمة الحجَّام، ويتحقّق أنّ المحجمة لا تغيّر ذات العسل، فإنّ نفرة الطّبع عنه مبنيّة على جهل عامّي منشؤه أنّ المحجمة، إنّما صنعت للدّم المستقذَر، فيظنّ أنّ الدّم مستقذر لكونه في المحجمة، ولا يدري أنّه مستقذر لصفة في ذاته. فإذا عدمت هذه الصّفة في العسل، فكونه في ظرفه لا يكسبه تلك الصّفة، فلا ينبغي أن يوجب له الاستقذار، وهذا وهم باطل، وهو غالب على أكثر الخلق.

---

[1] إخوان الصفا وخلان الوفا هم جماعة من فلاسفة المسلمين العرب من أهل القرن الثالث الهجري ولعاشر الميلادي بالبصرة اتّحدوا على أن يوفقوا بين العقائد الإسلامية والحقائق الفلسفية المعروفة في ذلك العهد فكتبوا في ذلك خمسين مقالة سموها "تحف إخوان الصفا".وهنالك كتاب آخر ألفه الحكيم المجريطي القرطبي المتوفى سنة 395هـ وضعه على نمط تحفة إخوان الصفا وسماه "رسائل إخوان الصفا". انبثقت جماعة إخوان الصفا تحت تأثير الفكر الإسماعيلي في البصرة في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري وكانت اهتمامات هذه الجماعة متنوعة وتمتد من العلم والرياضيات إلى الفلك السياسة وقاموا بكتابة فلسفتهم عن طريق 52 رسالة مشهورة ذاع صيتها حتى في الأندلس .ويعتبر البعض هذه الرسائل بمثابة موسوعة للعلوم الفلسفية. كان الهدف المعلن من هذه الحركة "التظافر للسعي إلى سعادة النفس عن طريق العلوم التي تطهر النفس". من الأسماء المشهورة في هذه الحركة كانت أبو سليمان محمد بن مشير البستي المشهور بالمقدسي، وأبو الحسن علي ابن هارون الزنجاني.

فإذا نسبت الكلام وأسندته إلى قائل حسن فيه اعتقادهم، قبلوه وإن كان باطلاً؛ وإن أسندته إلى مَن ساء فيه اعتقادهم، ردّوه وإن كان حقًّا.

فأبدًا يعرفون الحقّ بالرّجال، ولا يعرفون الرّجال بالحقّ، وهو غاية الضلال!

هذه آفة الردّ.

2 – **والآفة الثّانية: آفة القبول**: فإنّ مَن نظر في كتبهم كإخوان الصّفا وغيره، فرأى ما مزجوه بكلامهم من الحكم النّبويّة، والكلمات الصّوفيّة، ربّما استحسنها وقبلها، وحسن اعتقاده فيها؛ فيسارع إلى قبول باطلهم الممزوج به، لحسن ظنّ حصل فيما رآه واستحسنه.

وذلك نوع استدْراج إلى الباطل.

ولأجل هذه الآفة يجب الزّجر عن مطالعة كتبهم لِما فيها من الغدر والخطر. وكما يجب صون مَن لا يحسن السّباحة على مزالق الشّطوط، يجب صون الخلق عن مطالعة تلك الكتب.

وكما يجب صوْن الصّبيان عن مسّ الحيّات، يجب صوْن الأسماع عن مختلط الكلمات؛ وكما يجب على المعزِّم أن لا يمسّ الحيّة بين يديْ ولده الطّفل، إذا علم أن سيقتدي به، ويظنّ أنّه مثله؛ بل يجب عليه أن يحذّره [منه] بأن يحذر هو [في] نفسه [ولا يمسّها] بين يديْه، فكذلك يجب على العالم الرّاسخ مثله.

وكما أنّ المعزِّم الحاذق إذا أخذ الحيّة، وميّز بين التّرياق والسمّ، واستخرج منها التّرياق وأبطل السمّ، فليس له أن يشحّ بالتّرياق على المحتاج إليه.

وكذا الصرّاف النّاقد البصير إذا أدخل يده في كيس القَلاّب، وأخرج منه الإبريز الخالص، واطّرح الزّيف والبهرج، فليس له أن يشحّ بالجيد المرضيّ على مَن يحتاج إليه؛ فكذلك العالم.

وكما أنّ المحتاج إلى التّرياق، إذا اشمأزّت نفسه منه، حيث علم أنّه مستخرج من الحيّة التي هي مركز السمّ، [وجب تعريفه].

والفقير المضطرّ إلى المال، إذا نفر عن قبول الذّهب المستخرَج من كيس القلاّب، وجب تنبيهه على أنّ نفرته جهل محض، هو سبب حرمانه الفائدة التي هي مطلبه، وتحتّم تعريفه أنّ قرب الجوار بين الزّيف والجيّد لا يجعل الجيّد زيفًا، كما لا يجعل الزيف جيّدًا؛ فكذلك قرب الجوار بين الحقّ الباطل، لا يجعل الحقّ باطلاً، كما لا يجعل الباطل حقًّا.

فهذا مقدار ما أردْنا ذكره من آفة الفلسفة وغائلتها.

# القَولُ في مَذْهَبِ التَّعلِيم

# وغَائِلَته

# القَولُ فى مَذْهَبِ التَّعلِيم وغَائِلَته

ثمّ إنّي لما فرغتُ من علم الفلسفة، وتحصيله، وتفهّمه، وتزييف ما يزيّف منه، علمتُ أنّ ذلك أيضًا غير وافٍ بكمال الغرض؛ وأنّ العقل ليس مستقلاً بالإحاطة بجميع المطالب، ولا كاشفًا للغطاء عن جميع المعضلات.

وكان قد نبغت نابغة التّعليميّة[1]، وشاع بين الخلق تحدّثهم بمعرفة معنى الأمور من جهة الإمام المعصوم القائم بالحقّ، فعَنَّ لي أن أبحث في مقالاتهم، لأطّلع على ما في كنانتهم.

ثمّ اتّفق أن ورد علَيَّ أمرٌ جازمٌ من حضرة الخلافة، بتصنيف كتاب يكشف [عن] حقيقة مذهبهم. فلم يسعني مدافعته وصار ذلك مستحثًّا من خارج، ضميمة للباعث من الباطن، فابتدأتُ بطلب كتبهم وجمع مقالاتهم.

وكذلك قد بلغني بعض كلماتهم المستحدَثَة التي ولّدتها خواطر أهل العصر، لا على المنهاج المعهود من سلفهم. فجمّعتُ تلك الكلمات، ورتّبتها ترتيبًا محكمًا مقارنًا للتّحقيق، واستوفيتُ الجواب عنها، حتّى أنكر بعض أهل الحقّ منّي مبالغتي في تقرير حجّتهم، فقال: "هذا سعي لهم، فإنّهم كانوا يعجزون عن نصرة مذهبهم بمثل هذه الشّبهات لولا تحقيقك لها، وترتيبك إيّاها".

---

[1] لُقّبوا بذلك لأنّ مبدأ مذهبهم إبطال الرّأي وإفساد تصرّف العقول ودعاء الخلق إلى التّعليم من الإمام المعصوم وأنّه لا يدرك العلوم إلاّ بالتّعليم.

انظر: عبد الله سلوم السّامرائي، *الغلوّ والفرق الغالية في الحضارة الإسلاميّة*، ص107؛ ابن الجوزي، *تلبيس ابليس*، ص108 إلى ص112.

وهذا الإنكار من وجه حقّ، فقد أنكر أحمد بن حنبل[1] على الحارث المحاسبيّ[2]

---

[1] هو علَم أهل السنّة في زمانه والمحدّث الكبير، وناصر السّلف في عصره، وأحد أركان المذاهب الأربعة: أحمد بن محمّد بن حنبل بن هلال بن أسد بن إدريس بن عبد الله بن حيّان بن عبد الله بن أنس بن عوض بن قاسط بن مازن بن شيبان الشّيباني المروزي البغدادي. وُلد ببغداد سنة 164 هـ. في ربيع الأوّل ونشأ بها. وانصرف لتلقّي الحديث عن الشّيوخ في بغداد، ثمّ رحل في طلبه إلى البصرة والكوفة والحجاز واليمن. والْتقى بأكابر المجتهدين في عصره كالإمام الشّافعي –رحمه الله– وأبا يوسف القاضي –رحمه الله–. وكانت له محنة مشهورة في مسألة خلق القرآن مع المأمون ومَن تلاه من الخلفاء. وقد أخذ عنه الكثيرون.

وله *المسند* المشهور الذي يحتوي على نيف وأربعين ألف حديث، *الزّهد*، *النّاسخ والمنسوخ*، *الجرح والتّعديل*، *الإيمان*...

حول ترجمته راجع: *الفهرست*، ص285؛ *تاريخ بغداد*، ج4/ص412؛ *وفيّات الأعيان*، ج1/ص20–ص21؛ *طبقات الحنابلة*، ج3/ص11؛ *حلية الأولياء*، ج9/ص161 إلى ص233؛ *تذكرة الحفّاظ*، ج2/ص17–ص18؛ *تهذيب التّهذيب*،ج1/ص72؛ *البداية والنّهاية*، ج10/ص325 إلى ص343؛ *المختصر في أخبار شذرات الذّهب*، ج2/ص96 إلى ص98؛ *مرآة الجنان*، ج2/ص132 إلى ص134؛ *هديّة العارفين*، ص48؛ *مناقب الإمام أحمد* لابن الجوزي؛ *ابن حنبل* لمحمّد أبي زهرة؛ *معجم المؤلّفين*، ج2/ص96؛ *الطّبقات الكبرى* للشّعراني، ص54 إلى ص56؛ *التّاج المكلّل*، ذ ط–30؛ *نشأة الفكر الفلسفي*، ج1/ص247 إلى ص264؛ *المدرسة السّلفيّة*، ص522 إلى ص561.

[2] هو أبو عبد الله الحارث بن أسد المحاسبي، البصري الأصل؛ الزّاهد.أحد رجال الحقيقة. وهو ممَّن اجتمع له علم الظّاهر والباطن. وله من الكتب: كتاب *الرّعاية*، كتاب *شرح المعرفة* وكتاب *المسائل في الزّهد*، وكتاب *آداب النّفوس والبعث والنّشور*. قال السّمعاني: "وعُرف بهذه النّسبة [أي المحاسبي] لأنّه كان يحاسب نفسه". وقال: "كان أحمد بن حنبل –رضي الله عنه– يكرهه لنظره في علم الكلام وتصنيفه فيه، وهجره، فاستخفى من العامّة. فلمّا مات لم يصلّ عليه إلاّ أربعة نفر". وتوفّي في سنة 234 هـ.

حول ترجمته راجع: ابن خلّكان، *وفيّات الأعيان*، ج2/ص57–ص58؛ *تهذيب التّهذيب* لابن حجر العسقلاني، ج2/ص134؛ *صفة الصّفوة* لابن الجوزي، ج2/ص207؛ *طبقات* السّلمي،

-رحمهما الله- تصنيفه في الردّ على المعتزلة، فقال الحارث: "الردّ على البدعة فرضٌ"، فقال أحمد: "نعم، ولكن حكيتَ شبهتهم أوّلاً ثم أجبتَ عنها، فبمَ تأمن أن يطالع الشّبهة مَن يعلق ذلك بفهمه، ولا يلتفت إلى الجواب، أو ينظر في الجواب ولا يفْهم كنْهه؟".

وما ذكره أحمد بن حنبل حقّ، ولكن في شبهة لم تنتشر ولم تشْتهر. فأمّا إذا انتشرت، فالجواب عنها واجب، ولا يمكن الجواب [عنها] إلاّ بعد الحكاية.

نعم، ينبغي أن لا يتكلّف لهم شبهة لم [يتكلّفوها] ولم أتكلّف أنا ذلك، بل كنتُ قد سمعتُ تلك الشّبْهة من واحد من أصحابي المختلفين إليّ، بعد أن كان قد الْتحق بهم وانْتحل مذهبهم، وحكى أنّهم يضحكون على تصانيف المصنّفين في الردّ عليهم، بأنّهم لم يفْهموا بعد حجّتهم.

ثمّ ذكر تلك الحجّة وحكاها عنهم، فلم أرْض لنفسي أن يظنّ في الغفلة عن أصْل حجّتهم، فلذلك أوردتها؛ ولا أن يظنّ بي أنّي -وإن سمعتها- لم أفهمها، فلذلك قرّرتها.

والمقصود أنّي قرّرتُ شبهتهم إلى أقصى الإمكان، ثمّ أظهرتُ فسادها [بغاية البرهان].

والحاصل: أنّه لا حاصل عند هؤلاء، ولا طائل لكلامهم. ولولا سوء نصرة الصّديق الجاهل، لَمَا انتهت تلك البدعة -مع ضعفها- إلى هذه الدّرجة؛ ولكنّ شدّة التّعصّب دعت الذّابّين عن الحقّ إلى تطويل النّزاع معهم في مقدّمات كلامهم، وإلى مجاحدتهم في كلّ ما نطقوا به، فجاحدوهم في دعواهم: "الحاجة إلى التّعليم والمعلّم"، وفي دعواهم أنّه: "لا يصلح كلّ معلّم، بل لا بدّ من معلّم معصوم".

وظهرت حجّتهم في إظهار الحاجة إلى التّعليم والمعلّم، وضعف قول المنكرين في مقابلته، فاغترّ بذلك جماعة، وظنّوا أنّ ذلك من قوّة مذهبهم وضعف مذهب المخالفين لهم، ولم يفهموا أنّ ذلك لضعْف ناصر الحقّ وجعله بطريقه؛ بل الصّواب: الاعتراف

---

ص56؛ *حلية الأولياء* لأبي نعيم الأصفهاني، ج10/ص73؛ *ميزان الاعتدال*، ج1/ص430؛ *تاريخ بغداد*، ج8/ص211؛ *طبقات* السّبكي، ج2/ص37.

بالحاجة إلى المعلّم، وأنّه لا بدّ وأن يكون المعلّم معصومًا، ولكنّ معلّمنا المعصوم هو محمّد -صلّى الله عليه وسلّم-.

فإذا قالوا: "هو ميّتٌ"، فنقول: "ومعلّمكم غائبٌ".

فإذا قالوا: "معلّمنا قد علّم الدّعاة وبثّهم في البلاد، وهو ينتظر مراجعتهم إن اختلفوا أو أشكل عليهم مشكل"، فنقول: "ومعلّمنا قد علّم الدّعاة وبثّهم في البلاد وأكمل التّعليم، إذ قال الله -تعالى-: ﴿اليوم أكملتُ لكم دينكم [وأتممتُ عليكمْ نعمتي]﴾[1].

وبعد كمال التّعليم لا يضرّ موت المعلّم كما لا يضرّ غيبته.

فبقي قوْلهم: "كيف تحكمون فيما لم تسمعوه؟ أبالنصّ ولم تسمعوه، أم بالاجتهاد والرّأي وهو مظنّة الخلاف؟"، فنقول: "نفْعل ما فعله معاذ، إذ بعثه رسول الله -عليه [الصّلاة] والسّلام- إلى اليمن: أن نحكم بالنصّ، عند وجود النصّ وبالاجتهاد عند عدمه[2]. بل كما يفْعله دعاتهم إذا بعدوا عن الإمام إلى أقاصي البلاد، إذ لا يمْكنه أن يحكم بالنصّ، فإنّ النّصوص المتناهية لا تستوعب الوقائع غير المتناهية[3]، ولا يمكنه الرّجوع في كلّ واقعة إلى بلدة الإمام، وأن يقطع المسافة ويرجع، فيكون المستفتي قد مات، وفات الانتفاع بالرّجوع.

فمَن أشكلت عليه القبْلة ليس له طريق إلاّ أن يصلّي بالاجتهاد، إذ لو سافر إلى بلدة الإمام لمعرفة القبلة، فيفوت وقت الصّلاة. فإذن جازت الصّلاة إلى غير القبلة بناءً على الظنّ.

ويُقال: "إنّ المخْطئ في الاجْتهاد له أجرٌ واحدٌ وللمُصيبِ أجْران"[4].

---

[1] سورة المائدة (5)، الآية 3.

[2] رواه أبو دواد والترمذي وأحمد.

[3] في الأصل: **الغير**.

[4] رواه مسلم والبخاري وأبو دواد وابن ماجة والترمذي والنسائي (أي الستّة) وأحمد.

فكذلك في جميع المجتهدات، وكذلك أمر صرف الزّكاة إلى الفقير، فربّما يظنّه فقيرًا باجتهاده وهو غنيّ باطنًا بإخفائه ماله، فلا يكون مؤاخَذًا به، وإن أخطأ، لأنّه لم يؤاخَذ إلاّ بموجب ظنّه.

فإن قال: "ظنّ مخالفهِ كظنّه".

فأقول: "هو مأمور باتّباع ظنّ نفسه، كالمجتهد في القبلة يتّبع ظنّه وإنْ خالفه غيره".

فإن قال: "فالمقلّد يتّبع أبا حنيفة[1] والشّافعيّ[2] -رحمهما الله- أم غيرهما؟".

---

[1] هو أبو حنيفة النّعمان بن ثابت بن ماه، الفقيه الكوفي، مولى تيم الله ابن ثعلبة. أخذ الفقه عن حمّاد بن أبي سليمان، وسمع عطاء بن أبي رباح وأبا إسحاق السّبيعي ونافع مولى عبد الله بن عمر وغيرهم. ونقله أبو جعفر المنصور من الكوفة إلى بغداد ليولّيه القضاء فأبى. وكان إمام القياس، فأسّس مذهبه عليه. وُلد أبو حنيفة سنة 80 هـ. وتوفّي في رجب سنة 150 هـ.، وكانت وفاته ببغداد في السّجن ليَلي القضاء، فلم يفعل.

حول ترجمته راجع: *وفيّات الأعيان*، ج5/ص405 إلى ص414؛ *تذكرة الحفّاظ*، ص168؛ *تاريخ بغداد*، ج13/ص323؛ *الجوهر المضيئة*، ج1/ص26 إلى ص32؛ *مرآة الجنان*، ج1/ص309؛ *عبر* الذّهبي، ج1/ص214؛ *الشّذرات*، ج1/ص227؛ *البداية والنّهاية*، ج10/ص107؛ *النّجوم الزّاهرة*، ج2/ص12.

انظر أيضا: بروكلمان (التّرجمة العربيّة)، ج3/ص236 إلى ص245.

[2] هو الإمام أبو عبد الله محمّد بن إدريس بن العبّاس بن عثمان بن شافع بن السّائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن المطّلب بن عبد مناف القرشي المطّلبي الشّافعي. وهو أوّل مَن تكلّم في أصول الفقه، وهو الذي استنبطه مؤسّسًا بذلك أحد المذاهب الأربعة، نعني: المذهب الشّافعي. وكان مولده سنة 150 هـ. بمدينة غزّة. وحُمل من غزّه إلى مكّة وهو ابن سنتين، فنشأ بها. ووصل إلى مصر -بعد حلّ وترحال- سنة 199 هـ.، ولم يزل بها إلى أن توفّي يوم الجمعة آخر يوم من رجب سنة 204 هـ، ودُفن بالقرافة الصّغرى.

حول ترجمته راجع: *وفيّات الأعيان*، ج4/ص163 إلى ص169؛ *طبقات* السّبكي، ج1؛ *طبقات* الشّيرازي، ص71؛ *معجم الأدباء*، ج17/ص281؛ *حلية الأولياء*، ج9/ص63؛ *تاريخ بغداد*، ج2/ص56؛ *طبقات الحنابلة*، ج1/ص280؛ *الفهرست*، ص209؛ *الدّيباج*، ص227؛ *ترتيب المدارك وتقريب المسالك* للقاضي عياض، ج1/ص382؛ *طبقات* ابن هداية الله، ص2؛ *حسن*

فأقول: "فالمقلّد في القبلة عند الاشتباه، في معرفة الأفضل الأعلم بدلائل القبلة، فيتّبع ذلك الاجتهاد، فكذلك في المذاهب".

فردّ الخلق إلى الاجتهاد –ضرورة– الأنبياءُ والأئمّة مع العلم بأنّهم قد يخطئون، بل قال رسول الله –صلّى الله عليه وسلّم–: "أنا أحكم بالظّاهر والله يتولّى السّرائر"[1]، أي أنا أحكم بغالب الظنّ الحاصل من قول الشّهود، وربّما أخطؤوا[2] فيه.

ولا سبيل إلى الأمْن من الخطإ للأنبياء في مثل هذه المجتهدات، فيكف يطمع في ذلك؟

ولهم ها هنا سؤالان:

– أحدهما قولهم: "هذا، وإن صحّ في المجتهدات، فلا يصحّ في قواعد العقائد، إذ المخطئ فيه غير معذور، فكيف السبيل إليه؟".

فأقول: قواعد العقائد يشتمل عليها الكتاب والسنّة وما وراء ذلك من التّفصيل. والمتنازع فيه يُعرف الحقّ فيه بالوزن بالقسطاس المستقيم.

وهي الموازين التي ذكرها الله –تعالى– في كتابه، وهي خمسة ذكرتها في كتاب *القسطاس المستقيم*.

فإن قال: "خصومك يخالفونك في ذلك الميزان".

فأقول: لا يُتصوَّر أن يفهم ذلك الميزان ثم يخالف فيه، [إذ لا يخالف فيه] أهل التّعليم، لأنّي اسْتخرجْته من القرآن وتعلّمته منه؛ ولا يخالف فيه أهل المنْطق، لأنّه موافقٌ لِمَا شرطوه في المنطق؛ وغير مخالف له ولا يخالف فيه المتكلّم، لأنّه موافق لِمَا يذكره في أدلّة النّظريّات، وبه يعرف الحقّ في الكلاميّات.

فإن قال: "فإن كان في يدك مثل هذا الميزان، فلِمَ لا ترفع الخلاف بين الخلْق؟".

---

*المحاضرة* لجلال الدّين السّيوطي، ج1/ص121؛ *تذكرة الحفّاظ*، ص361؛ *تهذيب التّهذيب*، ج9/ص25؛ *غاية النّهاية*، ج2/ص95؛ *صفة الصّفوة*، ج2/ص140.

[1] قال الحافظ العراقي والحافظ المزي: لا أصل له.

[2] في الأصل: **اخطئوا**.

فأقول: لو أصغوا إليَّ لَرَفعتُ الخلاف بينهم وذكرتُ طريق رفع الخلاف في كتاب *القسطاس المستقيم*، فتأمّله لتعلم أنّه حقّ، وأنّه يرفع الخلاف قطعًا لو أصغوا ولا يصغون [إليه] بأجمعهم! بل قد أصغى إليَّ طائفة، فرفعتُ الخلاف بينهم.

وإمامك يريد رفع الخلاف بينهم مع عدم إصغائهم، فلِمَ لم يرفع إلى الآن؟ ولِمَ لم يرفع عليّ –رضي الله عنه–، وهو رأس الأئمّة؟ أو يدّعي أنّه يقدر على حمل كافّتهم على الإصغاء قهرًا، فلِمَ لم يحملهم إلى الآن؟ ولأيّ يوم أجّله؟ وهل حصل بين الخلق بسبب دعوته إلاّ زيادة خلاف وزيادة مخالف؟

نعم! كان يخشى من الخلاف نوع الضّرر لا ينتهي إلى سفك الدّماء، وتخْريب البلاد وإيتام الأولاد، وقطع الطّرق، والإغارة على الأموال.

وقد حدث في العالم من بركات رفعكم الخلاف [من الخلاف] ما لم يكن بمثْله عهد".

فإن قال: "ادّعيتَ أنّك ترفع الخلاف بين الخلق، ولكنّ المتحيّر بين المذاهب المتعارضة، والاختلافات المتقابلة، لم يلزمه الإصغاء إليك دون خصمك، وأكثر الخصوم يخالفونك، ولا فرق بينك وبينهم".

وهذا هو سؤالهم الثّاني، فأقول: "هذا أوّلاً ينقلب عليك، فإنّك إذا دعوتَ هذا المتحيّر إلى نفسك فيقول المتحيّر: بما صرتَ أوْلى من مخالفيك، وأكثر أهل العلم يخالفونك؟

فليتَ شعري! بماذا تجيب، أَتجيب بأن تقول: إمامي منصوصٌ عليه؟!

فمَن يصدّقك في دعوى النصّ، وهو لم يسمع النصّ من الرّسول؟ وإنّما يسمع دعواك مع تطابق أهل العلم على اختراعك وتكذيبك.

ثمّ هبْ أنّه سلم لك النصّ، فإن كان متحيّرًا في أصل النّبوّة، فقال: هبْ أنّ إمامك يدلي بمعجزة عيسى –عليه السّلام–، فيقول: الدّليل على صدقي أنّي أحيي أباك"، فأحياه، فناطقني بأنّه محقّ، فبماذا أعلم صدقه؟ ولم يعلم كافّة الخلق صدق عيسى –عليه السّلام– بهذه المعجزة، بل عليه من الأسئلة المشكلة ما لا يدفع إلَّا بدقيق النّظر العقليّ؛

والنّظر العقليّ لا يوثَق به عندك، ولا يعرف دلالة المعجزة على الصّدق ما لم يعرف السّحر والتّمييز بينه وبين المعجزة، وما لم يعرف أن الله لا يضلّ عباده –وسؤال الإضلال وعسْر [تحرير] الجواب عنه مشْهورٌ–، فبماذا تدفع جميع ذلك؟ ولم يكن إمامك أوْلى بالمتابعة من مخالفه!

فيرْجع إلى الأدلّة النّظريّة التي ينْكرها، وخصمه يدلي بمثل تلك الأدلّة وأوضح منها.

وهذا السّؤال قد انقلب عليهم انقلابًا عظيمًا، لو اجتمع أوّلهم وآخرهم على أن يجيبوا عنه جوابًا لم يقدروا عليه.

وإنّما نشأ الفساد من جماعة من الضّعفة ناظروهم، فلم يشتغلوا بالقلب، بل بالجواب.

وذلك ممّا يطول فيه الكلام، وما لا يسبق سريعًا إلى الإفهام، فلا يصلح للإفحام.

فإن قال قائل: "فهذا هو القلب، فهل عنه جواب؟".

فأقول: "نعم! جوابه أنّ المتحيّر لو قال: "أنا متحيّر"، ولم يعيّن المسألة التي هو متحيّر فيها، يُقال له: "أنت كمريض يقول: "أنا مريضٌ"، ولا يعيّن مرضه، ويطلب علاجه، فيُقال له: "ليس في الوجود علاج للمرض المطْلق، بل لمرض معيّن: من صداع أو إسهال أو غيرهما".

فكذلك المتحيّر ينبغي أن يعيِّن ما هو متحيّرٌ فيه. فإن عيّن المسألة، عرّفته الحقّ فيها بالوزن بالموازين الخمسة، التي لا يفْهمها أحد إلاّ ويعترّف بأنّه الميزان الحقّ، الذي يوثق بكلّ ما يوزن به، فيفْهم الميزان، ويفهم منه أيضًا صحّة الوزْن؛ كما يفْهم متعلّم علم الحساب نفس الحساب، وكوْن المحاسب المعلّم عالمِا بالحساب وصادقًا فيه.

وقد أوْضحتُ ذلك في كتاب *القسطاس المستقيم* في مقدار عشرين ورقة، فَلْيُتَأَمّل.

وليس المقصود الآن: بيان فساد مذهبهم، فقد ذكرتُ ذلك في كتاب *المستظهري* أوّلاً وفي كتاب *حجّة الحقّ* ثانيًا –وهو جواب كلام لهم عُرض علَيَّ ببغداد–، وفي كتاب *مفصل الخلاف* الذي هو اثنا عشر فصلاً ثالثاً –وهو جواب كلام عُرض علَيَّ بهمدان–، وفي كتاب *الدرج* المرقوم *بالجداول* رابعًا –وهو من ركيك كلامهم الذي عُرض علَيَّ

بطوس–، وفي كتاب *القسطاس المستقيم* خامسًا –وهو كتاب مستقلّ بنفْسه، مقصوده: بيان ميزان العلوم وإظهار الاستغْناء عن الإمام [المعْصوم] لِمَن أحاط به–.

بل المقْصود: أنّ هؤلاء ليس معهم شيء من الشّفاء المنجّي من ظلمات الآراء، بل هم، مع عجزهم عن إقامة البرهان على تعيين الإمام، طال ما جاريناهم[1]، فصدّقناهم في الحاجة إلى التّعليم وإلى المعلّم المعصوم، وأنّه الذي عيّنوه؛ ثمّ سألناهم عن العلم الذي تعلّموه من هذا المعصوم، وعرضْنا عليهم إشكالات، فلم يفهموها، فضلاً عن القيام بحلّها!

فلمّا عجزوا، أحالوا [على] الإمام الغائب، وقالوا: "إنّه لا بدّ من السّفر إليه".

والعجب أنّهم ضيّعوا عمرهم في طلب المعلّم، وفي التبجّح بالظّفر به، ولم يتعلّموا منه شيئًا أصلاً، كالمتضمّخ[2] بالنّجاسة، يتعب في طلب الماء، حتّى إذا وجده لم يسْتعمله، وبقي متضمّخًا بالخبائث.

ومنْهم مَن ادّعى شيئًا من علمهم، فكان حاصل ما ذكره شيئًا من ركيك فلسفة فيثاغورس[3]، وهو رجلٌ من قدماء الأوائل، ومذهبه أركّ مذاهب الفلسفة، وقد ردّ عليه

---

[1] في ق: **جربناهم**.

[2] التضمخ: التلطخ، يقال في الطيب.

[3] فيثاغورث أو فيثاغورس أوفيتاغورس الساموسي هو فيلسوف ورياضي إغريقي يوناني عاش في القرن السادس قبل الميلاد، وتنسب إليه مبرهنة فيثاغورث.

تحاك حول شخصية بيتاغوراس العديد من الروايات والأساطير ويصعب التحقق منها حيث يروى أن بيتاغوراس الساموسي ولد في جزيرة ساموس على الساحل اليوناني. في شبابه قام برحلة إلى بلاد ما بين النهرين (سوريا والعراق حاليآ) وأقام في منف بمصر. وبعد 20 سنة من الترحال والدراسة تمكن بيتاغوراس من تعلم كل ما هو معروف في الرياضيات من مختلف الحضارات المعروفة آنذاك. لكن حالما عاد بيتاغورث إلى مسقط رأسه اضطر للفرار منه وذلك لمعارضته للدكتاتور بوليكراتس في ما يخص الإصلاحات الاجتماعية. في حوالي 523 ق م، استقرّ بيتاغورث في جنوب إيطاليا في كروتوني حيث تعرف على شخص يدعى ميلان، وكان من أغنياء الجزيرة، فقام ميلان بمساعدة بيتاغوراس ماديّا. في هذه الأثناء ذاع صيت بيتاغوراس واشتهر إلاّ أنّ ميلان كان أشهر منه آنذاك حيث كان عظيم الجثة،

أرسطاطاليس، بل استركَّ كلامه واستزْذله، وهو المِحْكِيّ في كتاب إخوان الصّفا، وهو على التّحقيق حشو الفلسفة.

فالعجب ممَّن يتعب طول العمر في تحصيل العلم، ثمّ يقنع بمثل ذلك العلم الركيك المستغثّ، ويظنّ بأنّه ظفر بأقصى مقاصد العلوم!

فهؤلاء أيضًا جرّبناهم وسبرنا ظاهرهم وباطنهم، فرجع حاصلهم إلى استدراج العوامّ، وضعفاء العقول ببيان الحاجة إلى المعلّم، ومجادلتهم في إنكارهم الحاجة إلى التّعليم بكلام قويّ مفحِم، حتّى إذا ساعدهم على الحاجة إلى المعلّم مساعد، وقال: "هات علمه وأفدنا من تعليمه وقف!

وقال: "الآن إذا سلمتَ لي هذا فاطلبه، فإنّما غرضِي هذا القدر فقط". إذ علم أنّه لو زاد على ذلك، لافتضح ولَعجز عن حلّ أدنى الإشكالات، بل عجز عن فهمه، فضلاً عن جوابه.

---

وحقق 12 فوزا في الألعاب الأولمبية، الشيء الذي كان رقما قياسيًّا آنذاك. كان ميلان مولعا بالفلسفة والرياضيات بالإضافة للرّياضة، وبسبب ولعه هذا وضع قسمًا من بيته في تصرّف بيتاغورس كان يكفي لافتتاح مدرسة. اهتمّ اهتماما كبيرا بالرّياضيّات وخصوصًا بالأرقام وقدّس الرّقم عشرة لأنّه يمثل الكمال كما اهتم بالموسيقى وقال أنّ الكون يتألف من التمازج بين العدد والنّغم. أجبر فيثاغورث أتباعه من دارسي الهندسة على عدة أمور قال أنه نقلها في رحلاته من المزاولين للهندسة: ارتداء الملابس البيضاء. التّأمّل في أوقات محدّدة. الامتناع عن أكل اللحوم. الامتناع عن أكل الفول. يعتقد فيثاغورس وتلاميذه أنّ كلّ شيء مرتبط بالرياضيات وبالتّالي يمكن التنبّؤ بكلّ شيء وقياسه بشكل حلقات إيقاعيّة. استطاع فيثاغورس إثبات نظريّته مبرهنة فيثاغورث في الرّياضيّات والتي تقول: في مثلّث قائم الزاوية، مربّع طول الوتر يساوي مجموع مربّعي طولي الضّلعين المحاذيين للزاوية القائمة، عن طريق حسابه لمساحة المربعات التي تقابل كل ضلع من أضلاع المثلّث قائم الزاوية. استفاد الكثير من المهندسين في العصر الحاضر من هذه النظرية في عملية بناء الأراضي. ولا يعرف تماماً مكان وزمان وفاته و لكن يرجّح أنّه توفّي عام 500 ق.م[1] .ظلت تعاليمه ونظريّاته تزداد انتشارًا بعد مائتي عام أقام مجلس الشّعب (البرلمان) تمثالاً لفيثاغورس في روما شكراً له على انجازه ووصفه المجلس بالحكيم.

فهذه حقيقة حالهم، فأخبرهم تَقْلُهم[1]. فلمّا خبرناهم[2]، نفضْنا اليد عنهم أيضًا.

[1] اخبرهم: امتحنهم وتقلهم: تبغضهم.

[2] في ق : **جربناهم**.

# طُرُقُ الصُّوفِيَّةِ

# طُرُق الصُّوفِيَّة

ثم إنّي، لما فرغتُ من هذه العلوم، أقبلتُ بهمّتي على طريق الصّوفيّة، وعلمتُ أنّ طريقتهم إنّما تتمّ بعلم وعمل.

وكان حاصل علومهم: قطع عقبات النّفس، والتّنزّه عن أخلاقها المذمومة وصفاتها الخبيثة، حتّى يُتَوَصَّل بها إلى تخلية القلب عن غير الله –تعالى– وتحليته بذكر الله.

وكان العلم أيسر علَيَّ من العمل.

فابتدأتُ بتحصيل علمهم من مطالعة كتبهم مثل: *قوت القلوب* لأبي طالب المكّي –رحمه الله–، وكتب الحارث المحاسبي[1]، والمتفرّقات المأثورة عن الجنيد[2]، والشّبليّ[3]، وأبي

---

[1] هو أبو عبد الله الحارث بن أسد المحاسبي، البصري الأصل؛ الزّاهد.أحد رجال الحقيقة. وهو ممَّن اجتمع له علم الظّاهر والباطن. وله من الكتب: كتاب *الرّعاية*، كتاب *شرح المعرفة* وكتاب *المسائل في الزّهد*، وكتاب *آداب النّفوس والبعث والنّشور*. قال السّمعاني: "وعُرف بهذه النّسبة [أي المحاسبي] لأنّه كان يحاسب نفسه". وقال: "كان أحمد بن حنبل –رضي الله عنه– يكرهه لنظره في علم الكلام وتصنيفه فيه، وهجره، فاستخفى من العامّة. فلمّا مات لم يصلّ عليه إلاّ أربعة نفر". وتوفّي في سنة 234 هـ.

حول ترجمته راجع: ابن خلّكان، *وفيّات الأعيان*، ج2/ص57–ص58؛ *تهذيب التّهذيب* لابن حجر العسقلاني، ج2/ص134؛ *صفة الصّفوة* لابن الجوزي، ج2/ص207؛ *طبقات* السّلمي، ص56؛ *حلية الأولياء* لأبي نعيم الأصفهاني، ج10/ص73؛ *ميزان الاعتدال*، ج1/ص430؛ *تاريخ بغداد*، ج8/ص211؛ *طبقات* السّبكي، ج2/ص37.

[2] أبو القاسم الجنيد بن محمد الخزاز القواريري، أحد علماء أهل السنة والجماعة ومن أعلام التصوف السني في القرن الثالث الهجري، أصله نهاوند في همدان (مدينة اذرية)، ومولده ومنشؤه ببغداد. قال عنه أبو عبد الرّحمان السّلمي: "هو من أئمّة القوم وسادتهم؛ مقبول على جميع الألسنة". صحب جماعة من المشايخ، وأشتهر بصحبة خاله سري السقطي، والحارث المحاسبي. ودرس الفقه على أبي ثور، وكان يفتي في حلقته، وهو ابن عشرين سنة. توفي يوم السبت سنة 297 هـ.

يزيد البسطامي[1] [-قدّس الله أرواحهم-]، وغيرهم من المشايخ؛ حتّى اطّلعت على كنه

---

[3] هو الشيخ الزاهد أبو بكر دلف بن جعفر بن يونس الشبلي، ولد في سامراء عام 247 هـ، الموافق 861 م، وكان أبوه من رجال دار الخلافة بسامراء، وهو تركي الأصل من قرية شبلية من أعمال أشروسنة. ونشأ الشبلي مع أولاد الأمراء والوزراء، وأنخرط في سلك الوظيفة بدار الخلافة، وحظي من الأمراء بالنعم الوافرة، وعين أميرا على (دوماند) من توابع طبرستان. وكان يرى المظالم في عمله والسعايات بين الحكام بالباطل فيؤلمه ذلك، ولا يوافق هواه ونزعته الشاعرية، وأحس بقيود الوظيفة، وأراد خلعها لأنه يرى مصيره سيئا في الدنيا والآخرة إذا أستمر بالعمل مع هؤلاء المتكالبين على الدنيا، والتقى بالرّجل الصّالح (خير النساج) وكان من مشاهير الوعاظ في عصره، ووجهه نحو الجنيد البغدادي. والتقى الشبلي بالجنيد البغدادي فرحب به الجنيد وأكرمه وحبب إليه العبادات والتصوف والأنصراف عن الدّنيا، وأن لا يجعلها كلّ همّه. وكان الشبلي قد جزع من العمل أميرا عند الولاة وقرر الاستقالة من عمله. فطلب منه الجنيد أن يعود إلى وظيفته ويسترضي الناس، فرجع الشبلي لعمله وأقام فيها سنة، يسترضي خلالها النّاس، ثمّ عاد إلى بغداد، وسلك سبيل التصوف وكان مالكي المذهب. وقد أخذ العلم على يد علماء عصره وخدم الحديث الشّريف، وغلبت عليه نزعة الزّهد، والتعلق بالتصوف، وكان يعرف الزهد بقوله: "تحول القلوب من الأشياء إلى رب الأشياء". توفّي الشيخ الشبلي ليلة السبت 27 من ذي الحجة عام 334 هـ، الموافق 945 م، ودفن ضحى في مقبرة الخيزران، وقبره ظاهر يزار وعليه قبة، ودفن إلى جواره بعض طلابه ومحبيه.

[1] أبو يزيد طيفور بن عيسى بن شروسان البِسطامِي، من أعلام التصوف في القرن الثالث الهجري، يلقب بـ "سلطان العارفين "اسمه الفارسي "بايزيد" كما عرف كذلك باسم طيفور، كان جده شروسان مجوسيًا وأسلم، وله أخوان هما آدم وعلي. وكلهم زهاد عباد. ولد سنة 188 هـ في "بسطام" في بلاد خراسان في محلة يقال لها محلة موبدان . روى عن إسماعيل السدي، وجعفر الصادق. توفي سنة 261 هـ، عن ثلاث وسبعين سنة.

حول ترجمته راجع: طبقات الصوفية، تأليف: أبو عبد الرحمن السلمي، ص67-68، دار الكتب العلمية، ط 2003. سير أعلام النبلاء، تأليف: الذهبي، ج13، ص86. بحار الولاية المحمّديّة في مناقب أعلام الصوفية، تأليف: جودة محمّد أبو اليزيد المهدي، ص290-ص300. حلية الاولياء، ج10، ص35. طبقات الصوفية: 67 - 74. حلية الأولياء: 10 / 33 - 42. المنتظم: 5 / 28 - 29. معجم البلدان: "بسطام". اللباب: 1 / 152 - 153. وفيات الأعيان: 2 / 531.

مقاصدهم العلميّة، وحصّلت ما يمكن أن يحصَّل من طريقهم بالتّعلّم والسّماع.

فظهر لي أن أخصّ خواصّهم، ما لا يمكن الوصول إليه بالتّعلّم، بل بالذّوق والحال وتبدّل الصّفات.

وكمْ من الفرْق بين أن تعلم حدّ الصحّة وحدّ الشّبع وأسبابهما وشروطهما! وبين أن تكون صحيحًا وشبعان! وبين أن تعرف حدّ السّكر، وأنّه عبارة عن حالة تحصل من استيلاء أبخرة تتصاعد من المعدة على معادن الفكر، وبين أن تكون سكران! بل السّكران لا يعرف حدّ السّكر وعِلمه وهو سكران، وما معه من علمه شيء! والصَّاحي يعرف حدّ السُكر وأركانه، ومَا معه من السّكر شيء.

والطّبيب في حالة المرض يعرف حدّ الصحّة وأسبابها وأدويتها، وهو فاقد الصحّة.

فكذلك فرْقٌ بين أن تعرف حقيقة الزّهد وشروطه وأسبابه، وبين أن تكون حالك الزّهد وعزوف النّفس عن الدّنيا!

فعلمتُ يقينًا أنّهم أرباب الأحوال، لا أصحاب الأقوال؛ وأنّ ما يمكن تحصيله بطريق العلم فقد حصّلته، ولم يبقَ إلاّ ما لا سبيل إليه بالسّماع والتّعلّم، بل بالذّوق والسّلوك.

وكان قد حصل معي –من العلوم التي مارستها، والمسالك التي سلكتْها، في التّفتيش عن صنفيْ العلوم الشّرعيّة والعقليّة– إيمانٌ يقينيٌ بالله –تعالى–، وبالنّبُوّة وباليوم الآخر.

فهذه الأصول الثّلاثة من الإيمان كانت قد رسختْ في نفسي، لا بدليل معيّن محرّر[1]، بل بأسبابٍ وقرائن وتجارب لا تدخل تحت الحصر تفاصيلُها.

وكان قد ظهر عندي أنّه لا مَطْمَع لي في سعادة الآخرة إلاّ بالتّقوى، وكفّ النّفس عن الهَوَى؛ وأنّ رأس ذلك كلّه: قطعُ علاقة القلب عن الدّنيا بالتّجافي عن دار الغُرور،

---

ميزان الاعتدال: 2 / 346 – 347. عبر المؤلف: 2 / 23. البداية والنهاية: 11 / 35. طبقات الأولياء: 245، 398 – 402. النّجوم الزاهرة: 3 / 35. شذرات الذهب: 2 / 143 – 144.

[1] في ق: **مجرد**.

والإنابة إلى دار الخلود، والإقبال بكُنه الهمّة على الله -تعالى-؛ وأنّ ذلك لا يتمّ إلا بالإعراض عن الجاه والمال، والهرب من الشّواغل والعلائق.

ثمّ لاحظتُ أحوالي، فإذا أنا منغمس في العلائق، وقد أحدقتْ بي من الجوانب. ولاحظتُ أعمالي -وأحسنها التّدريس والتّعليم-، فإذا أنا فيها مقبلٌ على علوم غير مهمّة ولا نافعة في طريق الآخرة.

ثمّ تفكّرتُ في نيّتي في التّدريس، فإذا هي غير خالصة لوجه الله -تعالى-، بل باعثها ومحرّكها: طلب الجاه، وانتشار الصّيت؛ فتيقّنتُ أنّي على شفا جُرُف هارٍ، وأنّي قد أشفيتُ على النّار، إن لم أشتغل بتلافي الأحوال.

فلم أزل أتفكّر فيه مدّة، وأنا بعدُ على مقام الاختيار، أصمّم العزم على الخروج من بغداد، ومفارقة تلك الأحوال يومًا وأحلّ العزم يومًا، وأقدّم فيه رجلاً وأؤخّر عنه أخرى.

لا تصْدق لي رغبة في طلب الآخرة بكرة، إلاّ ويحمل عليها جند الشّهوة حملة فيفترها عشيّة.

فصارت شهوات الدّنيا تجاذبني بسلاسلها إلى المقام، ومنادي الإيمان ينادي: "الرّحيل! الرّحيل! فلم يبق من العمر إلاّ قليل، وبين يديْك السّفر الطّويل، وجميع ما أنت فيه من العلم والعمل رياء وتخييل!

فإن لم تستعدّ الآن للآخرة، فمتى تستعدّ؟ وإن لم تقطع الآن [هذه العلائق]، فمتى تقطع؟

فعند ذلك تنبعث الدّاعية، وينْجزم العزم على الهرب والفرار!

ثمّ يعود الشّيطان ويقول: "هذه حال عارضة، إيّاك أن تطاوعها، فإنّها سريعة الزّوال! فإن أذعنتَ لها وتركتَ هذا الجاه العريض، والشّأن المنظوم الخالي عن التّكدير والتّنغيص، والأمر المسلَّم الصّافي عن منازعة الخصوم، ربّما الْتفتتْ إليه نفسك، ولا يتيسّر لك المعاودة!".

فلم أزل أتردّد بين تجاذب شهوات الدّنيا، ودواعي الآخرة، قريبًا من ستّة أشهر: أوّلها رجب سنة ثمان[1] وثمانين وأربع مائة. وفي هذا الشّهر[2] جاوز الأمر حدّ الاختيار إلى الاضطرار، إذ أقفل الله على لساني حتّى اعتقل عن التّدريس، فكنتُ أجاهد نفسي أن أدرّس يومًا واحدًا تطييبًا لقلوب المختلفة [إليّ]، فكان لا ينطق لساني بكلمة [واحدة] ولا أستطيعها البتّة، حتّى أورثتْ هذه العقلة في اللّسان حزنًا في القلب، بطلت معه قوّة الهضم ومراءة الطّعام والشّراب؛ فكان لا ينساغ لي ثريد، ولا تنْهضم لي لقمة وتعدّى إلى ضعف القوى، حتّى قطع الأطبّاء طمعهم من العلاج، وقالوا: "هذا أمر نزل بالقلب، ومنه سرى إلى المزاج، فلا سبيل إليه بالعلاج، إلاّ بأن يتروّح السرّ عن الهمّ الملمّ".

ثمّ لما أحسستُ بعجزي، وسقط بالكليّة اختياري، الْتجأتُ إلى الله –تعالى– الْتجاء المضطرّ الذي لا حيلة له، فأجابني الذي ﴿يُجيب المضطرّ إذا دعاه﴾[3]، وسهّل على قلبي الإعراض عن الجاه والمال والأهل والولد والأصحاب، وأظهرت عزم الخروج إلى مكّة، وأنا أدبّر في نفسي سفر الشّام حذرًا أن يطّلع الخليفة، وجملة الأصحاب على عزْمي على المقام في الشّام، فتلطّفتُ بلطائف الحيل في الخروج من بغداد على عزم أن لا أعاودها أبدًا.

واستهْدفتُ لأئمّة أهل العراق كافّة، إذ لم يكن فيهم مَن يجوّز أن يكون للإعراض عمّا كنتُ فيه سبب دينيّ، إذ ظنّوا أنّ ذلك هو المنْصب الأعلى في الدّين، وكان ذلك مبلغهم من العلم.

---

[1] في بعض النسخ: **سنة ستّ**.

[2] هذا هو بداية قمة الأزمة الروحية عندة وسببها هو الخوف من الهلاك الآخروي كما قال عبد الغافر الفارسي: "فتح عليه باب من أبواب الخوف". ولعلّ من الأسباب التي أدّت إلى هذه الأزمة هو دراسة كتب الصوفيين وسيرتهم. وفي هذه الفترة الزّمنيّة يذكر ابن كثير أن عالما دخل بغداد ودرس في النّاظميّة وعلى يديه تاب كثيرٌ من العباد ورجعوا إلى الله وكثير منهم من زهد في الدنيا وتنسك. انظر فيما كتبه د. مصطفى محمود أبو صوى عن هذه الأزمة. والجدير بالذّكر أنّ هذه الأزمة هي غير (فترة الشكّ) التي عانى منها، وذكرها في فصل مداخل السّفسطة وجحد العلوم.

[3] سورة النّمل (27)، الآية 62.

ثمّ ارْتبك النّاس في الاستنباطات، وظنّ مَن بعُد عن العراق، أنّ ذلك كان لاستشعار من جهة الولاّة.

وأمّا مَن قرب من الولاّة، كان يشاهد إلحاحهم في التعلّق بي والانكباب عليَّ، وإعراضي عنهم، وعن الالْتفات إلى قولهم، فيقولون: "هذا أمْرٌ سماويّ، وليس له سبب إلاّ عين أصابت أهل الإسلام، وزمرة أهل العلم".

ففارقتُ بغداد، وفرّقتُ ما كان معي من المال، ولم أدّخر إلاّ قدر الكفاف، وقوت الأطفال، ترخّصًا بأنّ مال العراق مرصد للمصالح، ولكونه وقفًا على المسلمين. فلم أَرَ في العالم مالاً يأخذه العالم لعياله أصلح منه.

ثمّ دخلتُ الشّام، وأقمتُ به قريبًا من سنتيْن لا شغل لي إلاّ العزلة والخلوة والرّياضة والمجاهدة، اشتغالاً بتزكية النّفس، وتهذيب الأخلاق، وتصفية القلب لذكر الله –تعالى–، كما كنتُ حصّلته من كتب[1] الصّوفيّة.

فكنتُ أعتكف مدّة في مسجد دمشق، أصعد منارة المسجد طول النّهار، وأغلق بابها على نفسي.

ثمّ رحلْتُ منها إلى بيت المقْدس، أدخل كلّ يوم الصّخرة، وأغلق بابها على نفسي.

ثمّ تحرّكتْ فيَّ داعية فريضة الحجّ، والاستمداد من بركات مكّة والمدينة، وزيارة رسول الله –صلّى الله عليه وسلّم– بعد الفراغ من زيارة الخليل –صلوات الله وسلامه عليه– فسرتُ إلى الحجاز.

ثمّ جذبتني الهمم، ودعوات الأطفال إلى الوطن، فعاودته بعد أن كنتُ أبعد الخلق عن الرّجوع إليه. فآثرت العزلة [به] أيضًا حرصًا على الخلوة، وتصفية القلب للذّكر.

وكانت حوادث الزّمان، ومهمّات العيال، وضرورات المعاش[2]، تغيّر فيَّ وجه المراد، وتشوّش صفوة الخلوة. وكان لا يصفو [لي] الحال إلاّ في أقوات متفرّقة. لكنّي مع ذلك لا أقطع طمعي منها، فتدفعني عنها العوائق، وأعود إليها.

---

[1] في ق: **علم**.

[2] في ق: **المعيشة**.

ودمتُ على ذلك مقدار عشر سنين، وانكشفتْ لي في أثناء هذه الخلوات أمور لا يمكن إحصاؤها واستقصاؤها؛ والقدر الذي أذكره لِيُنْتَفَعَ به: إنّي علمتُ يقينًا أنّ الصّوفيّة هم السّالكون لطريق الله –تعالى– خاصّة، وأنّ سيرتهم أحسن السّير، وطريقهم أصوب الطّرق، وأخلاقهم أزْكى الأخلاق. بل لو جُمّع عقل العقلاء، وحكمة الحكماء، وعلم الواقفين على أسرار الشّرع من العلماء، لِيغيِّروا شيئًا من سيرهم وأخلاقهم، ويبدّلوه بما هو خير منه، لم يجدوا إليه سبيلاً.

فإنّ جميع حركاتهم وسكناتهم، في ظاهرهم وباطنهم، مقتبسَة من نور مشكاة النّبوّة، وليس وراء نور النّبوّة على وجه الأرض نور يستضاء به.

وبالجملة، فماذا يقول القائلون في طريقة، طهارتها –وهي أوّل شروطها– تطهير القلب بالكليّة عمّا سوى الله –تعالى–، ومفتاحها الجاري منها مجرى التّحريم من الصّلاة، استغراق القلب بالكلّية بذكر الله، وآخرها الفناء بالكلّية في الله؟

وهذا آخرها بالإضافة إلى ما يكاد يدخل تحت الاختيار والكسب من أوائلها. وهي على التّحقيق أوّل الطّريقة، وما قبل ذلك كالدّهليز للسّالك إليه.

ومن أوّل الطّريقة تبتدئ المكاشفات والمشاهدات، حتّى أنّهم في يقظتهم يشاهدون الملائكة، وأرواح الأنبياء ويسْمعون منهم أصواتًا ويقتبسون منهم فوائد.

ثمّ يترقّى الحال من مشاهدة الصّور والأمثال، إلى درجات يضيق عنها نطاق النّطق، فلا يحاول معبِّرٌ أن يعبِّر عنها إلاّ اشتمل لفظه على خطأ صريح لا يمْكنه الاحتراز عنه.

وعلى الجملة، ينتهي الأمر إلى قرب يكاد يتخيّل منه طائفة الحلول، وطائفة الاتّحاد، وطائفة الوصول، وكلّ ذلك خطأ.

وقد بيّنّا وجه الخطأ فيه في كتاب *المقصد الأسنى*، بل الذي لابسته تلك الحالة لا ينبغي أن يزيد على أن يقول :

وكان ما كان ممّا لستُ أذْكره

فظُنَّ خيرًا ولا تسْأل عن الخبرِ![1]

---

[1] هذا البيت لابن المعتز.

وبالجملة، فمَن لم يرزق منه شيئًا بالذّوق، فليس يدرِك من حقيقة النّبوّة إلاّ الاسم.

وكرامات الأولياء، [هي] على التّحقيق، بدايات الأنبياء. وكان ذلك أوّل حال رسول الله –صلّى الله عليه وسلّم–، حين أقبل إلى جبل "حراء"، حيث كان يخلو فيه بربّه ويتعبّد، حتّى قالت العرب: "إنّ محمّدًا عشق ربّه!".

وهذه حالة، يتحقّقها بالذّوق مَن يسْلك سبيلها. فمَن لم يرزق الذّوق، فيتيقّنها بالتّجربة والتّسامع، إن أكثر معهم الصّحبة، حتّى يفهم ذلك بقرائن الأحوال يقينًا.

ومَن جالسهم، استفاد منهم هذا الإيمان. فهم القوم لا يشقى جليسهم.

ومَن لم يرزق صحبتهم، فلْيَعْلَم إمكان ذلك يقينًا بشواهد البرهان، على ما ذكرناه في كتاب *عجائب القلب* من كتب *إحياء علوم الدّين*.

والتّحقيق بالبرهان علم، وملابسة عين تلك الحالة ذوق، والقبول من التّسامع والتّجربة بحسن الظنّ إيمان.

فهذه ثلاث درجات : ﴿يرفعِ الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجاتٍ﴾[1].

ووراء هؤلاء قوم جهّال، هم المنكرون لأصل ذلك، المتعجّبون من هذا الكلام، يستمعون ويسخرون، ويقولون: "العجب! أنّهم كيف يهذون!".

وفيهم قال الله –تعالى–: ﴿ومنهم مَن يستمع إليكَ حتّى إذا خرجوا من عِندك قالوا للّذين أُوتوا العلم ماذا قال آنفًا أولئك الذين طبع الله على قلوبهم واتّبعوا أهواءهم﴾[2]، فأصمّهُم وأعمى أبصارهم.

وممّا بان لي بالضّرورة من ممارسة طريقتهم: حقيقة النّبوّة وخاصّيتها. ولا بدّ من التّنْبيه[3] على أصْلها لشدّة مسيس الحاجة إليها.

---

[1] سورة المجادلة (58)، الآية 11.

[2] سورة محمّد (47) ، الآية 16.

[3] في ق: **التنويه**.

# حَقيقَةُ النُبُوَّة:
# واضطِرار كَافّةِ الخَلق إليهَا

اعْلم أنّ جوهر الإنسان في أصل الفطْرة خلق: خاليًا ساذجًا لا خبر معه من عوالم الله –تعالى–! والعوالم كثيرة لا يحْصيها إلاّ الله –تعالى– كما قال: ﴿وما يعلم جنودُ ربّك إلاّ هو﴾[1].

وإنّما خبره من العوالم بواسطة الإدراك، وكلّ إدراك من الإدراكات خلق ليطّلع الإنسان به على عالم من الموجودات، ونعني بالعوالم: أجناس الموجودات.

فأوّل ما يخلق في الإنسان حاسّة اللّمس، فيدرك بها أجناسًا من الموجودات: كالحرارة، والبرودة، والرّطوبة واليبوسة، واللّين، والخشونة، وغيرها. واللّمس قاصرٌ عن الألوان والأصوات قطعًا، بل هي كالمعدوم في حقّ اللّمْس.

ثمّ تُخلَق له [حاسّة] البصر، فيدرك بها الألوان والأشكال، وهو أوسع عوالم المحسوسات.

ثمّ ينْفخ فيه السّمع، فيسمع الأصوات والنّغمات.

ثمّ يخْلق له الذّوق.

وكذلك إلى أن يجاوز عالم المحسوسات، فيخلق فيه التّمييز، وهو قريب من سبع سنين، وهو طور آخر من أطوار وجوده، فيدرِك فيه أمورًا زائدة على عالم المحسوسات، لا يوجد منها شيء في عالم الحسّ.

ثمّ يترقّى إلى طور آخر، فيخلق له العقل، فيدرك الواجبات والجائزات والمستحيلات، وأمورًا لا توجد في الأطوار التي قبْله.

ووراء العقل طور آخر تنفتح فيه عين أخرى يبصر بها الغيب، وما سيكون في المسْتقبل، وأمورًا أُخر، العقل معْزول عنها؛ كعزل قوّة التّمييز عن إدراك المعقولات، وكعزْل قوّة الحسّ عن مدْركات التّمييز.

وكما أنّ المميِّز لو عرضت عليه مدركات العقل لأَبَاها واستبعدها، فكذلك بعض العقلاء أبوْا مدركات النّبوّة واستبعدوها، وذلك عيْن الجهل، إذ لا مسْتنَد لهم إلاّ أنّه طور لم يبلغه ولم يوجد في حقّه، فيظنّ أنّه غير موجود في نفسه.

---

[1] سورة المدثر (74)، الآية 31.

والأكْمه، لو لم يعلم بالتّواتر والتّسامع الألوان والأشكال، وحُكِي له ذلك ابتداءً، لم يفهمها ولم يقرّ بها.

وقد قرب الله –تعالى– على خلقه بأن أعطاهم نموذجًا[1] من خاصيّة النّبوّة، وهو النّوم، إذ النّائم يدرك ما سيكون من الغيب، إمّا صريحًا، وإمّا في كسوة مثال يكْشف عنه التّعبير.

وهذا لو لم يجرّبه الإنسان من نفسه –وقيل له: "إنّ من النّاس مَن يسقط مغشيًّا عليه كالميّت، ويزول عنه إحساسه وسمْعه وبصره، فيدرك الغيب"، لأنكره، وأقام البرهان على استحالته، وقال: "القوى الحسّاسة أسباب الإدراك، فمَن لا يدرِك الأشياء، مع وجودها وحضورها، فبأن لا يدرِك مع ركودها أوْلى وأحقّ".

وهذا نوع قياس يكذّبه الوجود والمشاهدة.

فكما أنّ العقل طور من أطوار الآدمي، يحصل فيه عين يبصر بها أنواعًا من المعقولات، والحواسّ معزولة عنها، فالنّبوّة أيضًا عبارة عن طور يحصل فيه عين لها نور يظهر في نورها الغيب، وأمور لا يدركها العقل.

والشّكّ في النّبوّة، إمّا أن يقع في إمكانها، أو في وجودها ووقوعها، أو في حصولها لشخص معيَّن.

ودليل إمكانها: وجودها. ودليل وجودها: وجود معارف في العالم لا يُتَصَوَّر أن تُنال بالعقل؛ كعلم الطبّ والنّجوم، فإنّ مَن بحث عنها علم بالضّرورة أنّها لا تُدْرَك إلاّ بإلْهام إلهيّ وتوفيق من جهة الله –تعالى–، ولا سبيل إليها بالتّجربة.

فمن الأحكام النّجوميّة ما لا يقع إلاّ في كلّ ألف سنة مرّة، فكيف يُنال ذلك بالتّجربة؟ وكذلك خواصّ الأدوية.

فتبيّن بهذا البرهان أنّ في الإمكان وجود طريق لإدراك هذه الأمور التي لا يدركها العقل –وهو المراد بالنّبوّة–، لا أنّ النّبوّة عبارة عنها فقط، بل إدراك هذا الجنس الخارج عن مدْركات العقل إحدى خواصّ النّبوّة، ولها خواصّ كثيرة سواها.

---

[1] في ش : **أنموذجًا**.

وما ذكرنا، فقطرة من بحرها إنّما ذكرناها، لأنّ معك أُنموذجًا منها، وهو مدركاتك في النّوم، ومعك علوم من جنسها في الطبّ والنّجوم، وهي معجزات الأنبياء –عليهم الصّلاة والسّلام–، ولا سبيل إليها للعقلاء ببضاعة العقل أصلاً.

وأمّا ما عَدَا هذا من خواصّ النّبوّة، فإنّما يُدْرَك بالذّوق، من سلوك طريق التّصوّف، لأنّ هذا إنّما فهمته بأنْموذج رُزْقته وهو النّوم، ولولاه لَمَا صدقت به.

فإن كان للنّبيّ خاصّة ليس لك منها أنموذج، ولا تفهمها أصلاً، فكيف تصدّق بها؟ وإنّما التّصديق بعد الفهم. وذلك الأنموذج يحصل في أوائل طريق التّصوّف، فيحصل به نوع من الذّوق بالقدر الحاصل، ونوع من التّصديق بما لم يحصل بالقياس إليه.

فهذه الخاصيّة الواحدة تكفيك للإيمان بأصل النّبوّة.

فإن وقع لك الشكّ في شخص معيّن أنّه نبيّ أم لا، فلا يحصل اليقين إلاّ بمعرفة أحواله، إمّا بالمشاهدة، أو بالتّواتر والتّسامع؛ فإنّك إذا عرفتَ الطبّ والفقه، يمكنك أن تعرف الفقهاء والأطبّاء بمشاهدة أحوالهم، وسماع أقوالهم، وإن لم تشاهدهم. ولا تعجز أيضًا عن معرفة كون الشّافعي –رحمه الله– فقيهًا، وكون جالينوس[1] طبيبًا، معرفة بالحقيقة لا بالتّقليد عن الغير، [بل] بأن تتعلّم شيئًا من الفقه والطبّ وتطالع كتبهما وتصانيفهما، فيحصل لك علمٌ ضروريٌّ بحالهما.

---

[1] ظهر جالينوس بعد ستّمائة وخمس وستّين سنة من وفاة بقراط، وانتهت إليه الرّئاسة في عصره. وهو الثّامن من الرّؤساء الذين أوّلهم أسقلبيلدس مخترع الطبّ. وكان معلّم جالينوس: أرمينيوس الرّومي. وأخذ عن أغلوقن، وله إليه مقالات، وبينهما مناظرات. وقيل: كان جالينوس في أيّام ملوك الطّوائف في أيّام قباذ بن سابور بن أشغان. وكان جالينوس وجيهًا عند الملوك كثير الوفادة عليها، كثير التّنقّل في البلدان، وأكثر أسفاره إلى مدينة روميّة. وكان جالينوس كثيرًا ما يلتقي مع الإسكندر الأفروديسي. وكان الإسكندر يلقّبه برأس البغل لعظم رأسه. وتوفّي جالينوس في أيّام ملوك الطّوائف، وبين المسيح وبينه سبع وخمسون سنة، المسيح –عليه السّلام– أقدم منه. وقد نُقل إلى العربيّة أكثر من سبعين كتابًا لجالينوس على حدّ الكشف الذي حدّده ابن النّديم في *الفهرست*.

حول ترجمته راجع: *الفهرست* لابن النّديم، ص289. بيروت. د. ت.

فكذلك إذا فهمتَ معنى النّبوّة، فأكثرتَ النّظر في القرآن والأخبار، يحصل لك العلم الضّروريّ بكونه –صلّى الله عليه وسلّم– على أعلى درجات النّبوّة؛ وأعضد ذلك بتجربة ما قاله في العبادات وتأثيرها في تصفية القلوب، وكيف صدق –صلّى الله عليه وسلّم– في قوله: "مَن عمل بما علم ورثهُ الله علم ما لم يعلم"[1]. وكيف صدق في قوله: "مَن أعان ظالمًا سلّطهُ الله عليهِ"[2]. وكيف صدق في قوله: "مَن أصبح وهُمُومُهُ همٌّ واحدٌ كفاه الله –تعالى– هُمُومَ الدّنيا والآخرةِ"[3].

فإذا جرّبتَ ذلك في ألْف وألْفيْن وآلاف، حصل لك علم ضروريّ لا تُتَمارى فيه.

فمن هذا الطّريق اطلب اليقين بالنّبوّة، لا من قلب العصا ثعبانًا، وشقّ القمر؛ فإنّ ذلك إذا نظرتَ إليه وحده، ولم تنضمّ إليه القرائن الكثيرة الخارجة عن الحصر، وربّما ظننْتَ أنّه سحر وتخييل، وأنّه من الله –تعالى– إضلال، فإنّه ﴿يُضِلُّ مَن يَشَاءُ ويَهدي من يشاءُ﴾[4].

وترد عليك أسئلة المعجزات؛ فإذا كان مسْتنَد إيمانك إلى كلام منظوم في وجه دلالة المعجزة، فينْجزم إيمانك بكلام مرتَّب في وجه الإشكال والشّبهة عليها؛ فليكن مثل هذه الخوارق إحدى الدّلائل والقرائن في جملة نظرك، حتّى يحصل لك علمٌ ضروريٌّ لا يمكنك ذكر مستندَه على التّعيين، كالذي يخبره جماعة بخبر متواترٌ لا يمْكنه أن يذكر أنّ اليقين مستفاد من قول واحد معيَّن، بل من حيث لا يدري، ولا يخرج عن جملة ذلك ولا بتعيين الآحاد.

فهذا هو الإيمان القويّ العلميّ.

---

[1] غير موجود في كتب الحديث المشهورة.

[2] رواه أبن عساكر عن أبن مسعود وهو حديث ضعيف.

[3] رواه أبن ماجة عن أبن مسعود واسناده ضعيف، فيه نهشل بن سعيد. قيل فيه أنه يروى المناكير، وقيل بل الموضوعات.

[4] سورة النّحل (16)، الآية 93.
سورة فاطر (35)، الآية 8.

وأمّا الذّوق، فهو كالمشاهدة والأخذ باليد، ولا يوجد إلاّ في طريق الصّوفيّة.

فهذا القدْر من حقيقة النّبوّة كافٍ في الغرض الذي أقصده الآن، وسأذْكر وجْه الحاجة إليه.

# سَبَب نشر العِلْم
# بعَدْ الإعرَاضِ عَنه

ثمّ إنّي، لما واظبتُ على العزلة والخلوة قريبًا من عشر سنين، بان لي في أثناء ذلك على الضّرورة من أسباب لا أحصيها، مرّة بالذّوق، ومرّة بالعلم البرهانيّ، ومرّة بالقبول الإيمانيّ: أنّ الإنسان خُلِق من بدن وقلب[1] –وأعني بالقلب: حقيقة روحه التي هي محلّ معرفة الله، دون اللّحم والدّم الذي يشارك فيه الميّت والبهيمة–؛ وأنّ البدن له صحّة بها سعادته، ومرض فيه هلاكه؛ وأنّ القلب كذلك له صحّة وسلامة، ولا ينجو ﴿إلاّ مَن أتى الله بقلب سليم﴾[2]، وله مرضٌ فيه هلاكه الأبديّ الأخرويّ، كما قال –تعالى–: ﴿في قلوبهم مرضٌ﴾[3]؛ وأنّ الجهل بالله سمّ مهلك؛ وأنّ معصية الله، بمتابعة الهوى، داؤه الممرّض؛ وأنّ معْرفة الله –تعالى– ترياقه المحيي، وطاعته بمخالفة الهوى، دواؤه الشّافي؛ وأنّه لا سبيل إلى معالجته، بإزالة مرضه وكسب صحّته، إلاّ بأدوية؛ كما لا سبيل إلى معالجة البدن إلاّ بذلك.

---

[1] في ق: **أن للإنسان بدناً وقلباً**.

[2] سورة الشّعراء (26)، الآية 89.

[3] سورة البقرة (2)، الآية 10.
سورة المائدة (5)، الآية 52.
سورة الأنفال (8)، الآية 49.
سورة التّوبة (9)، الآية 125.
سورة الحجّ (22)، الآية 53.
سورة الأحزاب (33)، الآية 60.
سورة محمّد (47)، الآية 20.
سورة محمّد (47)، الآية 29.
سورة المدثر (74)، الآية 31.

وكما أنّ أدوية البدن تؤثّر في كسب الصحّة بخاصّية فيها، لا يدركها العقلاء ببضاعة العقل، بل يجب فيها تقليد الأطبّاء الذين أخذوها من الأنبياء، الذين اطّلعوا بخاصّية النّبوّة على خواصّ الأشياء؛ فكذلك بان لي، على الضّرورة، بأنّ أدْوية العبادات بحدودها ومقاديرها المحدودة المقدَّرة من جهة الأنبياء، لا يدرَك وجه تأثيرها ببضاعة عقل العقلاء، بل يجب فيها تقليد الأنبياء الذين أدركوا تلك الخواصّ بنور النّبوّة، لا ببضاعة العقل.

وكما أنّ الأدوية تركَّب من أخلاط مختلفة النّوْع والمقْدار، وبعضها ضعف البعض في الوزن والمقدار، فلا يخلو اختلاف مقاديرها عن سرّ هو من قبيل الخواصّ؛ فكذلك العبادات، التي هي أدوية داء القلوب، مركَّبة من أفعال مختلفة النّوع والمقْدار، حتّى أنّ السّجود ضعْف الرّكوع، وصلاة الصّبح نصْف صلاة العصر في المقدار؛ ولا يخلو عن سرّ من الأسرار، هو من قبيل الخواصّ التي لا يطّلع عليها إلاّ بنور النّبوّة.

ولقد تحامق وتجاهل جدًّا مَن أراد أن يستنبط، بطريق العقل، لها حكمة؛ أو ظنّ أنّها ذُكرَت على الاتّفاق، لا عن سرّ إلهيّ فيها، يقتضيها بطريق الخاصّية.

وكما أنّ في الأدوية أصولاً هي أرْكانها، وزوائد هي متمّماتها، لكلّ واحد منها خصوص تأثير في أعمال أصولها، كذلك النّوافل والسّنن متمّمات لتكميل آثار أركان العبادات.

وعلى الجملة، فالأنبياء –عليهم السّلام– أطبّاء أمراض القلوب.

وإنّما فائدة العقل وتصرّفه: أن عرّفنا ذلك، وشهد للنّبوّة بالتّصديق ولنفسه بالعجز[1] عن درك ما يُدْرَك بعين النبوّة، وأخذ بأيدينا وسلّمنا إليها تسْليم العميان إلى القائدين، وتسليم المرضى المتحيّرين إلى الأطبّاء المشفقين[2].

فإلى هاهنا مجرَى العقل ومخطاه، وهو معزول عمّا بعد ذلك، إلاّ عن تفهّم ما يلقيه الطّبيب إليه.

فهذه أمور عرفناها بالضّرورة الجارية مجرى المشاهدة، في مدّة الخلوة والعزلة.

---

[1] في ق: **بالعمى**.

[2] في ق: **المشقفين**.

ثمّ رأينا فتور الاعتقادات في أصل النّبوّة، ثمّ في حقيقة النّبوّة، ثمّ في العمل بما شرحته النّبوّة؛ وتحقّقنا شيوع ذلك بين الخلق، فنظرتُ إلى أسباب فتور الخلق، وضعْف إيمانهم، فإذا هي أربعة:

1 – سبب من الخائضين في **علم الفلسفة**؛

2 – وسبب من الخائضين في **طريق التّصوّف**؛

3 – وسبب من المنتسبين إلى **دعوى التّعليم**؛

4– وسبب من معاملة **الموسومين بالعلم** فيما بين النّاس.

فإنّي تتبّعتُ مدّةً آحاد الخلق، أسألُ من أن يقصر منهم في متابعة الشّرع، وأسأله عن شبهته، وأبحث عن عقيدته وسرّه، وقلتُ له: "ما لك تقصّر فيها؟! فإن كنت تؤمن بالآخرة، ولستَ تستعدّ لها، وتبيعها بالدّنيا، فهذه حماقة! فإنّك لا تبيع الاثنين بواحد، فكيف تبيع ما لا نهاية له بأيّام معدودة؟! وإن كنت لا تؤمن، فأنت كافر!

فدبّر نفسك في طلب الإيمان، وانظر ما سبب كفرك الخفيّ الذي هو مذهبك باطنًا، وهو سبب جرأتك ظاهرًا، وإن كنتَ لا تصرّح به تجمّلاً بالإيمان وتشرّفًا بذكر الشّرع!".

فقائلٌ يقول: "إنّ هذا أمرٌ لو وجبت المحافظة عليه، لكان العلماء أجدر بذلك، وفلان من المشاهير بين الفضلاء لا يصلّي، وفلان يشرب الخمر، وفلان يأكل أموال الأوقاف وأموال اليتامى، وفلان يأكل إدرار السّلطان ولا يحترز عن الحرام، وفلان يأخذ الرّشوة على القضاء والشّهادة! وهلمّ جرًّا إلى أمثاله".

وقائلٌ ثانٍ يدّعي علم التّصوّف، ويزعم أنّه قد بلغ مبلغًا ترقّى عن الحاجة إلى العبادة!

وقائلٌ ثالثٌ: يتعلّل بشبهة أخرى من شبهات أهل الإباحة!

وهؤلاء هم الذين ضلّوا عن التّصوّف.

وقائلٌ رابعٌ لقي أهل التّعليم، فيقول: "الحقّ مشكل، والطّريق إليه متعسّر[1]، والاختلاف فيه كثير؛ وليس بعض المذاهب أوْلى من بعض، وأدلّة العقول متعارضة، فلا ثقة برأي أهل الرّأي، والدّاعي إلى التّعليم متحكّم لا حجّة له، فكيف أدَع اليقين بالشكّ؟!".

وقائلٌ خامس يقول: "لستُ أفعل هذا تقليدًا، ولكنّي قرأتُ علم الفلْسفة وأدركتُ حقيقة النّبوّة، وإنّ حاصلها يرجع إلى الحكمة والمصلحة، وأنّ المقصود من تعبّداتها: ضبْط عوامّ الخلق، وتقييدهم عن التّقاتل والتّنازع، والاسترسال في الشّهوات. فما أنا من العوامّ الجهّال حتّى أدخل في حجر التّكليف، وإنّما أنا من الحكماء أتّبع الحكمة، وأنا بصير بها، مسْتغنٍ فيها عن التّقليد!".

هذا منْتهى إيمان مَن قرأ مذهب فلسفة الإلهيّين منهم، وتعلّم ذلك من كتب ابن سينا وأبي نصر الفارابي. وهؤلاء هم المتجمّلون بالإسلام.

وربّما ترى الواحد منهم يقرأ القرآن، ويحْضر الجماعات والصّلوات، ويعظّم الشّريعة بلسانه، ولكنّه –مع ذلك– لا يترك شرب الخمْر، وأنواعًا من الفسق والفجور!

وإذا قيل له: "إن كانت النّبوّة غير صحيحة، فلِمَ تصلّي؟"، فربّما يقول: "لرياضة الجسد، ولعادة أهل البلد، وحفْظ المال والولد!". وربّما قال: "الشّريعة صحيحة، والنّبوّة حقّ!" فيُقال: "فلِمَ تشْرب الخمر؟"، فيقول: "إنّما نُهِيَ عن الخمر، لأنّها تورث العداوة والبغضاء، وأنا بحكْمتي محترزٌ عن ذلك، وإنّي أقْصد به تشْحيذ خاطري".

حتّى أنّ ابن سينا ذكر في وصيّة له كتب فيها: أنّه عاهد الله –تعالى– على كذا وكذا، وأن يعظّم الأوضاع الشّرعيّة، ولا يقصّر في العبادات الدّينيّة، ولا يشْرب تلهّيًا بل تداويًا وتشافيًا؛ فكان منْتهى حالته في صفاء الإيمان، والْتزام العبادات، أن اسْتثنى شرب الخمر لغرض التّشافي!!

---

[1] في ق: **والطريق متعسرة**.

فهذا إيمان مَن يدّعي الإيمان منهم. وقد انْخدع بهم جماعة، وزادهم انخداعًا ضعف اعتراض المعترضين عليهم، إذ اعْترضوا بمجاهدة علم الهندسة والمنطق، وغير ذلك ممّا هو ضروريّ لهم، على ما بيّنا علّته من قبل.

فلمّا رأيتُ أصناف الخلق قد ضعف إيمانهم إلى هذا الحدّ بهذه الأسباب، ورأيتُ نفسي ملبة بكشف هذه الشّبْهة، حتّى كان إفضاح هؤلاء أيسر عندي من شربة ماء، لكثرة خوضي في علومهم [وطرقهم] –أعني: [طرق] الصّوفيّة، والفلاسفة، والتّعليميّة، والمتوسّمين من العلماء–، انْقدح في نفْسي أنّ ذلك متعيّن في هذا الوقت، محْتوم.

فماذا تغنيك الخلْوة والعزْلة، وقد عمّ الدّاء، ومرض الأطبّاء، وأشرف الخلق على الهلاك؟!

ثمّ قلتُ في نفسي: "متى تشتغل أنت بكشف هذه الغمّة ومصادمة هذه الظّلمة، والزّمان زمان الفتْرة، والدّور دور الباطل؛ ولو اشتغلتَ بدعوة الخلق، عن طرقهم إلى الحقّ، لعاداك أهل الزّمان بأجْمعهم؛ وأنّى تقاومهم فكيف تعايشهم، ولا يتمّ ذلك إلاّ بزمان مساعد، وسلطانٌ متديّنٌ قاهرٌ؟!".

فترخّصتُ بيني وبين الله –تعالى– بالاستمرار على العزْلة تعلّلاً بالعجْز عن إظهار الحقّ بالحجّة.

فقدّر الله –تعالى– أن حرّك داعية سلطان الوقت من نفسه، لا بتحريك من خارج.

فأمَر أمْر إلزام بالنّهوض إلى نيسابور، لتدارك هذه الفترة. وبلغ الإلزام حدًّا كان ينتهي، لو أصررت على الخلاف، إلى حدّ الوحْشة.

فخطر لي أنّ سبب الرّخصة قد ضعف، فلا ينبغي أن يكون باعثك على ملازمة العزلة الكسل والاستراحة، وطلب عزّ النفس وصونها عن أذى الخلق، ولم ترخّص لنفسك عُسْرَ معاناة الخلق. والله –سبحانه وتعالى– يقول: ﴿بسم الله الرّحمن الرّحيم: الم. أَحَسِبَ النّاسُ أن يُترَكوا أن يقولوا آمناً وهم لا يُفْتَنونَ ولقد فتنّا الذينَ من قبلهم﴾[1] الآية. ويقول –عزّ وجلّ– لرسوله، وهو أعزّ خلقه: ﴿ولقدَ كُذّبَتْ رُسلٌ من قبلكَ فصَبروا على ما

[1] سورة العنكبوت (29)، الآيات 1 إلى 3.

كُذّبوا وأُوذوا، حتّى أتاهم نصرُنا ولا مبَدّلَ لكلماتِ الله، ولقد جاءك من نبإِ المرسلين﴾[1]. ويقول –عزّ وجلّ–: ﴿بسم الله الرّحمن الرّحيم : يس والقرآن الحكيم...﴾[2] إلى قوله: ﴿إنّما تنذرُ مَن اتّبع الذكر وخشي الرّحمن بالغيبِ﴾[3].

فشاورتُ في ذلك جماعة من أرباب القلوب والمشاهدات، فاتّفقوا على الإشارة بترك العزلة، والخروج من الزّاوية. وانضاف إلى ذلك منامات من الصّالحين، كثيرة متواترة، تشهد بأنّ هذه الحركة مبدأ خير ورشد قدّرها الله –سبحانه– على رأس هذه المائة[4]؛ فاسْتحكم الرّجاء، وغلب حسن الظنّ بسبب هذه الشّهادات؛ وقد وعد الله –سبحانه– بإحياء دينه على رأس كلّ مائة.

ويسَّر الله –تعالى– الحركة إلى نيسابور، للقيام بهذا المهمّ في ذي القعدة، سنّ تسع وتسعين وأربع مائة.

وكان الخروج من بغداد في ذي القعدة سنة ثمان وثمانين وأربع مائة. وبلغت مدّة العزلة إحدى عشر سنة.

وهذه حركة قدّرها الله –تعالى–، وهي من عجائب تقديراته التي لم يكن لها انقداح في القلب في هذه العزلة، كما لم يكن الخروج من بغداد، والنّزوع عن تلك الأحوال ممّا خطر إمكانه أصلاً بالبال، والله –تعالى– مقلّب القلوب والأحوال، و"قلب المؤمن بين إصبعيْن من أصابعِ الرّحمان"[5].

---

[1] سورة الأنعام (6)، الآية 34.

[2] سورة يس (36)، الآية 1.

[3] سورة يس (36)، الآية 11.

[4] أبو دواد والحاكم عن أبو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها".

[5] مسلم وأحمد عن عبد الله بن عمرو بن العاص، ويوجد في التّرمذي وابن ماجه روايات مشابهه عن آخرين.

وأنا أعلم أنّي، وإن رجعتُ إلى نشر العلم، فما رجعتُ! فإنّ الرّجوع عَودٌ إلى ما كان، وكنتُ في ذلك الزّمان أنشر العلم الذي به يُكتسَب الجاه، وأدعو إليه بقولي وعملي، وكان ذلك قصدي ونيّتي.

وأمّا الآن، فأدْعو إلى العلم الذي به يُترك الجاه، ويُعرَف به سقوط رتبة الجاه.

هذا هو الآن نيّتي، وقصدي وأمنيتي؛ يعلم الله ذلك منّي، وأنا أبغي أن أصلح نفْسي وغيري؛ ولستُ أدري أأَصِل مرادي أم أُحترم[1] دون غرضي؟

ولكنّي أؤْمن إيمان يقين ومشاهدة أنّه لا حول ولا قوّة إلاّ بالله –العليّ العظيم– وأنّي لم أتحرّك، لكنّه حرّكني؛ وإنّي لم أعمل، لكنّه اسْتعملني.

فأسْأله أن يصلحني أوّلاً، ثمّ يُصلح بي، ويهديني، ثمّ يهدي بي؛ وأن يريني الحقّ حقًّا، ويرزقني اتّباعه، ويريني الباطل باطلاً، ويرزقني اجْتنابه.

ونعود الآن إلى ما ذكرْناه من أسباب ضعف الإيمان بذكر طريق إرشادهم وإنقاذهم من مهالكهم:

– أمّا الذين ادّعوا الحيرة بما سمعُوه من أهل التّعليم، فعلاجهم ما ذكرْناه في كتاب *القسطاس المستقيم*، ولا نطوّل بذكْره في هذه الرسالة.

– وأمّا ما توهّمه أهل الإباحة، فقد حصرْنا شبههم في سبعة أنواع وكشفناها في كتاب *كيمياء السّعادة*.

– وأمّا مَن فسد إيمانه بطريق الفلسفة، حتّى أنكر أصل النّبوّة، فقد ذكرْنا حقيقة النّبوّة ووجودها بالضّرورة، بدليل وجود علم خواصّ الأدوية والنّجوم وغيرهما.

وإنّما قدّمنا هذه المقدّمة لأجل ذلك. وإنّما أوْردنا الدّليل من خواصّ الطبّ والنّجوم، لأنّه من نفْس علمهم.

---

[1] يقال: احترمته المنيّة، أي أخذته.

ونحن نبيّن لكلّ عالم بفنّ من العلوم، كالنّجوم، والطبّ والطّبيعة، والسّحر، والطلسمات[1]، مثلاً من نفس علمه، برْهان النّبوّة.

– وأمّا مَن أثبت النّبوّة بلسانه، وسوّى أوْضاع الشّرع على الحكمة، فهو على التّحقيق كافر بالنّبوّة. وإنّما هو مؤمنٌ بحكم له طالع مخْصوص، يقتضي طالعه أن يكون متبوعًا، وليس هذا من النّبوّة في شيء.

بل الإيمان بالنّبوّة: أن يقرّ بإثبات طور وراء العقل، تنفتح فيه عين يدرك بها مدركات خاصّة، والعقل معزول عنها، كعزْل السّمع عن إدراك الألوان، والبصر عن إدراك الأصوات، وجميع الحواسّ عن إدراك المعقولات.

فإن لم يجوّز هذا، فقد أقمنا البرهان على إمْكانه، بل على وجوده.

وإن جوّز هذا، فقد أثبت أنّ هاهنا أمورًا تُسمَّى "خواصّ"، لا يدور تصرّف العقل حواليها أصلاً، بل يكاد العقل يكذّبها ويقضي باستحالتها.

فإنّ وزن دانق[2] من الأفيون سمّ قاتل، لأنّه يجمّد الدّم في العروق لفرط برودته. والذي يدّعي علم الطّبيعة، يزعم أنّه ما يبرد من المركّبات، إنّما يبرد بعنصريْ الماء والتّراب، فهما العنْصران الباردان. ومعلوم أن أرطالاً من الماء والتّراب لا يبْلغ تبريدها في الباطن إلى هذا الحدّ.

فلو أخْبر طبيعيّ بهذا ولم يجرّبه، لقال: "هذا محالٌ! والدّليل على استحالته: أنّ فيه ناريّة وهوائيّة، والهوائيّة والنّاريّة لا تزيدها برودة، فنقدّر الكلّ ماء وترابًا، فلا يوجب هذا الإفراط في التّبريد. فإن انضمّ إليه حارّان، فبأن لا يوجب ذلك أوْلى".

ويقدّر هذا برهانًا! وأكثر براهين الفلاسفة في الطّبيعيّات والإلهيّات مبنيّ على هذا الجنس! فإنّهم تصوّروا الأمور على قدر ما وجدوه وعقلوه؛ وما لم يألفوه قدّروا استحالته،

---

[1] هذا اللّفظ من أصل يوناني وهو من مصطلحات السّحر: خطوط وأعداد يزعم كاتبها أنه يربط بها روحانيّات الكواكب العلوية بالطبائع السفلية. راجع المعجم الوسيط.

[2] الدانق (بفتح النون وكسرها): سدس الدرهم.

ولو لم تكن الرُؤْيا الصّادقة مألوفة، وادّعى مدّعٍ، أنّه عند ركود الحواسّ يعلم الغيْب، لأَنكره المتّصفون بمثل هذه العقول.

ولو قيل لواحد: "هل يجوز أن يكون في الدّنيا شيء هو بمقدار حبّة، يوضع في بلدة، فيأكل تلك البلدة بجمْلتها، ثمّ يأكل نفسه، فلا يُبقي [شيئًا] من البلْدة وما فيها، ولا يبْقى هو نفسه؟"، لَقال: "هذا لَمحال وهو من جملة الخرافات!". وهذه حالة النّار، ينكرها من لم يرَ النّار إذا سمعها.

وأكثر [إنكار] عجائب الآخرة هو من هذا القبيل.

فنقول للطّبيعيّ: "قد اضطررتَ إلى أن تقول: في الأفيون خاصّية في التّبريد، ليست على قياس المعقول بالطّبيعة. فلِمَ لا يجوز أن يكون في الأوضاع الشّرعيّة من الخواصّ، في مداواة القلوب وتصفيتها، ما لا يدرَك بالحكمة العقليّة، بل لا يُبْصَر ذلك إلاّ بعين النّبوّة؟".

بل قد اعترفوا بخواصّ هي أعجب من هذا، فيما أوردوه في كتبهم، وهي من الخواصّ العجيبة المجرَّبة في معالجة الحامل التي عسر عليها الطلق، بهذا الشّكل:

| | | |
|---|---|---|
| ب | ط | د |
| ز | ه- | ج |
| و | ا | ح |

| | | |
|---|---|---|
| 2 | 9 | 4 |
| 7 | 5 | 3 |
| 6 | 1 | 8 |

يكتب على خرقتيْن لم يصبهما ماء، وتنْظر إليهما الحامل بعينها، وتضعهما تحت قدميْها، فيسرع الولد في الحال إلى الخروج.

وقد أقرّوا بإمكان ذلك وأوردوه في "عجائب الخواصّ"، وهو شكل فيه تسعة بيوت، يرقّم فيها رقوم مخصوصة، يكون مجموع ما في جدول واحد خمسة عشر، قرأته في طول الشّكل أو في عرضه أو على التّأريب[1].

فيا ليتَ شعري! مَن يصدّق بذلك، ثمّ لا يتّسع عقله للتّصديق، بأنّ تقدير صلاة الصّبح بركعتيْن، والظّهر بأربع، والمغرب بثلاث، هو لخواصّ غير معلومة بنظر الحكمة؟ وسببها اختلاف هذه الأوقات. وإنّما تدرَك هذه الخواص بنور النّبوّة.

والعجب أنَّا لو غيّرنا العبارة إلى عبارة المنجّمين، لعقلوا اختلاف هذه الأوقات، فنقول: "أليس يختلف الحكم في الطّالع، بأن تكون الشّمس في وسط السّماء، أو في الطّالع، أو في الغارب، حتّى يبنوا على هذا في تسْييراتهم اختلاف العلاج، وتفاوت الأعمار والآجال؛ ولا فرْق بين الزّوال وبين كون الشّمس في وسط السّماء، ولا بين المغرب وبين كون الشّمس في الغارب، فهل لتصديق ذلك سبب؟

إلاّ أنّ ذلك يسمعه بعبارة منجّم، لعلّه جرّب كذبه مائة مرّة. ولا يزال يعاود تصديقه، حتّى لو قال المنجَّم [له]: "إذا كانت الشّمس في وسط السّماء، ونظر إليها الكوكب الفلاني، والطّالع هو البرج الفلاني، فلبستَ ثوبًا جديدًا في ذلك الوقت، قُتلتَ في ذلك الثّوب!"؛ فإنّه لا يلْبس الثّوب في ذلك الوقت! وربّما يقاسي فيه البرد الشّديد، وربّما سمعه من منجّم وقد عرف[2] كذبه مرّات!

فليتَ شعري! مَن يتّسع عقله لقبول هذه البدائع، ويضطرّ إلى الاعتراف بأنّها خواصّ –معرفتها معجزة لبعض الأنبياء–، فيكف ينكر مثل ذلك، فيما يسْمعه من قول نبيّ صادق مؤيَّد بالمعجزات، لم يعرف قطّ بالكذب، ولم لا يتّسع لإمكانه؟!

فإن أنْكر فلسفيّ إمكان هذه الخواصّ في أعداد الرّكعات، ورمي الجمار، وعدد أركان الحجّ، وسائر تعبّدات الشّرع، لم يجد بينها وبين خواصّ الأدوية والنّجوم فرْقًا أصلاً.

---

[1] في ش : **أو جوانبه** بدلاً من **أو على التأريب**.

[2] في ق: **جرب**.

فإن قال: "قد جرّبتُ شيئًا من النّجوم وشيئًا من الطبّ، فوجدتُ بعضه صادقًا، فانْقدح في نفسي تصديقه وسقط من قلْبي استبعاده ونفرته؛ وهذا لم أجرّبه، فبمَ أعلم وجوده وتحقيقه، وإن أقررتُ بإمكانه؟".

فأقول: "إنّك لا تقتصر على تصديق ما جرّبته، بل سمعتَ أخبار المجرّبين وقلّدتهم، فاسمعْ أقوال الأنبياء، فقد جرّبوا وشاهدوا الحقّ في جميع ما ورد به الشّرع، واسلك سبيلهم تدرك بالمشاهدة بعض ذلك".

على أنيّ أقول: "وإن لم تجرّبه، فيقضي عقلك بوجوب التّصديق والإتّباع قطعًا.

فإنّا لو فرضنا رجلاً بلغ وعقل، ولم يجرّب المرض، فمرض؛ وله والد مشفق حاذق بالطبّ، يسمع دعواه في معرفة الطبّ منذ عقل؛ فعجن له والده دواء، فقال: "هذا يصْلح لمرضك ويشفيك من سقمك". فماذا يقتضيه عقله، إن كان الدّواء مرًّا كريه المذاق، أن يتناول أوَ يكذّب ويقول: "أنا [لا] أعقل مناسبة هذا الدّواء لتحصيل الشّفاء، ولم أجرّبه!"؟ فلا شك أنّك تستحمقه إن فعل ذلك!

وكذلك يسْتحمقك أهْل البصائر في توقّفك!

فإن قلتَ: "فبِمَ أعرف شفقة النّبيّ –صلّى الله عليه وسلّم– ومعرفته بهذا الطبّ؟"؛ فأقول: "وبِمَ عرفتَ [شفقة أبيك]، وليس ذلك أمرًا محسوسًا؟ بل عرفتها بقرائن أحواله وشواهد أعماله في مصادره وموارده علمًا ضروريًّا لا تتمارى فيه".

ومَن نظر في أقوال رسول الله –صلّى الله عليه وسلّم–، وما ورد من الأخبار في اهتمامه بإرشاد الخلق، وتلطّفه في جرّ النّاس بأنواع الرّفق[1] واللّطف، إلى تحسين الأخلاق وإصلاح ذات البين؛ وبالجملة إلى ما يصلح به دينهم ودنياهم، حصل له علم ضروريّ بأنّ شفقته –صلّى الله عليه وسلّم– على أمّته أعظم من شفقة الوالد على ولده.

وإذا نظر إلى عجائب ما ظهر عليه من الأفعال، وإلى عجائب الغيب الذي أخبر عنه القرآن على لسانه وفي الأخبار، وإلى ما ذكره في آخر الزّمان، فظهر ذلك كما ذكره،

---

[1] في ق زاد : **واللين**.

علم علمًا ضروريًّا أنّه بلغ الطّور الذي وراء العقل، وانفتحت له العين التي ينْكشف منها الغيب الذي لا يدْركه إلاّ الخواصّ، والأمور التي لا يدركها العقل.

فهذا هو منهاج تحصيل العلم الضّروريّ بتصديق النّبيّ –صلّى الله عليه وسلّم–.

فجرّب وتأمّل القرآن وطالع الأخبار، تعرف ذلك بالعيان.

وهذا القدر يكفي في تنبيه المتفلسفة، ذكرناه لشدّة الحاجة إليه في هذا الزّمان.

وأمّا السّبب الرّابع –وهو ضعْف الإيمان بسبب سيرة العلماء–، فيُدَاوَى هذا المرض بثلاثة أمور:

– **أحدها**: أن تقول: "إنّ العالم الذي تزعم أنّه يأكل الحرام ومعْرفته بتحريم ذلك الحرام، كمعرفتك بتحريم الخمر [ولحم الخنزير] والرّبا، بل بتحريم الغيبة والكذب والنّميمة؛ وأنت تعرف ذلك وتفعله، لا لعدم إيمانك بأنّه معصية، بل لشهوتك الغالبة عليك فشهوته كشهوتك، وقد غلبته كما غلبتك؛ فعلمه بمسائل وراء هذا يتميّز به عنك، لا يناسب زيادة زجر عن هذا المحظور المعيّن.

وكمْ من مؤمن بالطبّ لا يصبر عن الفاكهة وعن الماء البارد، وإن زجره الطّبيب عنه! ولا يدلّ ذلك على أنّه غير ضارّ، أو على أنّ الإيمان بالطبّ غير صحيح.

فهذا محْمل هفوات العلماء.

– **الثّاني**: أن يُقال للعامّي: "ينبغي أن تعْتقد أنّ العالم اتّخذ علمه ذخرًا لنفْسه في الآخرة، ويظنّ أنّ علمه ينجّيه، ويكون شفيعًا له حتّى يتساهل معه في أعماله، لفضيلة علمه.

وإن جاز أن يكون زيادة حجّة عليه، فهو يجوز أن يكون زيادة درجة له، وهو ممكن. فهو، وإن ترك العمل، يدلي بالعلم.

وأمّا أنت أيّها العامّي! إذا نظرتَ إليه وتركتَ العمل، وأنت عن العلم عاطل، فتهلك بسوء عملك ولا شفيع لك!

– **الثّالث**: وهو الحقيقة، أنّ العالم الحقيقيّ لا يقارف معصية إلاّ على سبيل الهفوة، ولا يكون مصرًّا على المعاصي أصلاً؛ إذ العلم الحقيقيّ ما يعرّف أن المعصية سمٌ مهلك، وأنّ الآخرة خير من الدّنيا. ومن عرَف ذلك، لا يبيع الخير بما هو أدْنى [منه].

وهذا العلم لا يحْصل بأنواع العلوم التي يشتغل بها أكثر النّاس. فلذلك لا يزيدهم ذلك العلم إلاّ جرأة على معصية الله -تعالى-.

وأمّا العلم الحقيقيّ، فيزيد صاحبه خشية وخوفًا [ورجاءً]، وذلك يحول بينه وبين المعاصي إلاّ الهفوات التي لا ينفكّ عنها البشر في الفترات، وذلك لا يدلّ على ضعف الإيمان.

فالمؤمن مفتنٌ توّابٌ، وهو بعيدٌ عن الإصرار والإكباب.

هذا ما أردتُ أن أذكره في ذمّ الفلسفة والتّعليم وآفاتهما، وآفات مَن أنكر عليهما، لا بطريقه.

نسأل الله العظيم أن يجعلنا ممَّن آثره واجتباه، وأرشده إلى الحقّ وهداه، وألهمه ذكره حتّى لا ينساه، وعصمه عن شرّ نفسه، حتّى لم يؤثّر عليه سواه، واستخلصه لنفسه حتّى لا يعبد إلا إيّاه.

وصلّى الله على سيّدنا محمّد، وعلى آله، وصحبه وسلّم.

وبهذا تمّ
كتاب المُنقِذُ مِنَ الضَّلال
والمؤصِلُ إلىَ ذِي العِزَّةِ وَالجَلاَل
للإمام الغزالي -رحمه الله تعالى
وأسكنه فسيح جنّاته-

# قائمة المصادر والمراجع

# قائمة مصادر ومراجع التّحقيق


**–أ–**

– *الأئمّة الإثنا عشر* لابن طولون. تحقيق صلاح الدّين المنجد. بيروت. 1958.

– *أبجد العلوم* لصدّيق بن حسن القنوجي، ج 2.

– *ابن حنبل* لمحمّد أبو زهرة.

– *ابن الرّاوندي* مقالة لبول كراوس نشرت باللّغة الألمانيّة في *مجلّة الدّراسات الشّرقيّة* وترجمها عبد الرّحمان بدوي في كتابه *من تاريخ الإلحاد في الإسلام* (ص75 إلى ص188). القاهرة. 1945.

– *إتّعاظ الحنفا بأخبار الأئمّة الفاطميّين الخلفا* لتقيّ الدّين المقريزي. تحقيق جمال الدّين الشيّال. القاهرة. 1967.

– (كتاب) *أخبار الرّاضي والمتّقي* للصّولي.

– *أخبار الظرّاف والمتماجنين* لابن الجوزي. دمشق. 1347 هـ.

– *أخبار العبّاس وولده*. تحقيق عبد العزيز الدّوري. بيروت. 1971.

– *أخبار العلماء بأخبار الحكماء* للقفطي.

– *أخبار القضاة* لوكيع محمّد بن خلف. في ثلاثة أجزاء. القاهرة .1366–1369 هـ.

– *أخبار النّحويّين البصريّين* لأبي سعيد السّيرافي. تحقيق طه محمّد الزّيني ومحمّد عبد المنعم خفاجة. القاهرة. 1955.

– *أرسطو* لعبد الرّحمان بدوي.

– *الإستيعاب في معرفة الأصحاب* لأبي عمر بن عبد البرّ. في أربعة أجزاء. تحقيق علي محمّد البجاوي. مطبعة نهضة مصر. القاهرة.

– *أسد الغابة في معرفة الصّحابة* لعزّ الدّين ابن الأثير الجزري. في خمسة أجزاء. طهران. 1342 هـ.

– *الإسماعيليّون في المرحلة القرمطيّة* لسامي العيّاش.

- *الإشارة إلى من نال الوزارة* لابن الصّيرفي. تحقيق عبد الله مخلص. مصر. 1924.
- *الإصابة في تمييز الصّحابة* لابن حجر العسقلاني. في ثمانية أجزاء. القاهرة. 1323 هـ.
- *إصطلاحات الصّوفيّة* للقاشاني.
- *الإعتقادات* للرّازي.
- *الأعلام* لخير الدّين الزّركلي. في عشرة أجزاء. الطّبعة الثّانية. مصر.
- *أعمال الأعلام* للسان الدّين ابن الخطيب.
* تحقيق ليفي بروفنسال. بيروت. 1956.
* القسم الثّالث. تحقيق العبّادي والكتّاني. الدّار البيضاء. 1964.
- *أعيان الشّيعة*، في 23 جزء.
- *الأغاني* لأبي الفرج الأصبهاني.
* في 25 جزء. دار الثّقافة. بيروت.
* في 21 جزء. طبعة السّاسي.
- *إلجام العوامّ عن علم الكلام* لأبي حامد الغزالي.
- *الإمام زيد* لمحمّد أبو زهرة.
- *إنباه الرّوّاة على أنباه النّحاة* لجمال الدّين القفطي. في ثلاثة أجزاء. تحقيق محمّد أبو الفضل إبراهيم. دار الكتب المصريّة. القاهرة. 1950.
- *الإنتصار والردّ على ابن الرّاوندي الملحد* لأبي الحسين عبد الرّحيم بن محمّد الخيّاط المعتزلي. تحقيق نيبرج. دار الكتب المصريّة. 1925.
- *الإنتقاء في فضائل الثّلاثة الأئمّة الفقهاء* لابن عبد البرّ. القاهرة. 1350 هـ.
- *أنساب الأشراف* للبلاذري.
* الجزء الأوّل. تحقيق محمّد حميد الله. دار المعارف. القاهرة. 1959.
* الجزء الرّابع والجزء الخامس. تحقيق جويتاين. القدس. 1936-1938.
- *الأنساب* للسّمعاني. في ستّة أجزاء. حيدر أباد الدّكن. 1962-1964.

- *إيران في عهد السّاسانيّين* لكرستنسن.

**-ب-**

- *البخلاء* للجاحظ. تحقيق طه الحاجري. القاهرة. 1948.
- *بحار الأنوار*، في 11 جزء.
- *البدء والتّاريخ* لمطهّر بن طاهر المقدسي. في خمسة أجزاء. نشر كلمان هوار. باريس. 1899-1919.
- *بغية الطّلب من تاريخ حلب* لابن العديم. (صورة عن نسخة خطّية محفوظة بمكتبة الجامعة الأمريكيّة في بيروت).
- *بغية الوعاة في طبقات اللّغويّين والنّحاة* لجلال الدّين السّيوطي. الطّبعة الأولى. 1926.
- *بلغة الظّرفاء في ذكرى تواريخ الخلفاء* لعليّ بن محمّد بن أبي السّرور الرّوحي. مصر. 1327 هـ.
- *البيان المغرب* لابن عذارى المرّاكشي. (القسم الخاصّ بتاريخ الموحّدين). تحقيق أمبروسي هويسي ميراندا ومساهمة محمّد بن تاويت ومحمّد بن إبراهيم الكتاني. تطوان. 1960.
- *البيان والتّبيين* للجاحظ. في أربعة أجزاء. تحقيق عبد السّلام هارون. القاهرة. 1961.

**-ت-**

- *تاج التّراجم في طبقات الحنفيّة* لأبي العدل زين الدّين قاسم بن قطلوبغا. بغداد. 1962.
- *تاج العروس* للزّبيدي (ج4/ص245). المطبعة الخيريّة. مصر. 1306 هـ.
- *تاريخ* ابن العبري.
- *تاريخ أبي الفدا* لأبي الفداء، ج2.

– *تاريخ الأدب العربي* لكارل بروكلمان. في ثلاثة أجزاء. ترجمة عبد الحليم النّجّار. دار المعارف. القاهرة. 1959- 1962.
– *تاريخ الإسلام* للذّهبي. في ستّة أجزاء. طبعة القدسي. القاهرة.
– *تاريخ بغداد* للخطيب البغدادي. في 14 جزء. (طبعة مصوّرة عن الطّبعة الأولى). نشر دار الكتاب العربي. بيروت.
– *تاريخ التّراث العربي* لفؤاد سزكين. ج 2.
– *تاريخ التّصوّف الإسلامي* لعبد الرّحمان بدوي.
– *تاريخ الجهميّة والمعتزلة* للقاسمي.
– *تاريخ الحكماء* لجمال الدّين القفطي. تحقيق جوليوس ليبرت. ليبسك. 1903.
– *تاريخ الخلفاء* لجلال الدّين السّيوطي.
– *تاريخ* خليفة لخليفة بن خيّاط. تحقيق سهيل زكار. دمشق. 1967-1968.
– *تاريخ الخميس* للدّيار بكري. طبعة بولاق. 1283 هـ. (*تاريخ* الخميس. ج2).
– *تاريخ الدّعوة الإسماعيليّة* لمصطفى غالب.
– *تاريخ* الطّبري للطّبري.
* في 15 جزء. نسخة مصوّرة عن الطّبعة الأوروبيّة. مكتبة خيّاط. بيروت.
* في 11 جزء. المطبعة الحسينيّة. القاهرة. 1326 هـ.
– *تاريخ الفكر العربي إلى أيّام ابن خلدون* لعمر فرّوخ. الطّبعة الثّالثة. دار العلم للملايين. بيروت. 1981.
– *تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام* لمحمّد علي أبو ريّان. الطّبعة الثّانية. دار النّهضة العربيّة. بيروت. 1983.
– *تاريخ فلاسفة الإسلام في المشرق والمغرب*. لمحمّد لطفي جمعة. نشر المكتبة العلميّة. القاهرة. 1927.
– *تاريخ الفلسفة الإسلاميّة* لهنري كوربان. ترجمة نصير مروّة وحسن قبيسي، مراجعة موسى الصّدر وعارف ثامر. الطّبعة الثّالثة. منشورات عويدات. بيروت. 1981.

– *تاريخ الفلسفة العربيّة* لجميل صليبا. الطّبعة الثّانية. دار الكتاب اللّبناني. بيروت. 1973.

– *تاريخ الفلسفة العربيّة* لحنّا الفاخوري وخليل الجرّ. في جزأين. الطّبعة الثّانية. منشورات دار الجيل. بيروت. 1982.

– *تاريخ الفلسفة في الإسلام* لت. ج. دي بور. نقله إلى العربيّة وعلّق عليه محمّد عبد الهادي أبو ريدة. الطّبعة الخامسة. دار النّهضة العربيّة. بيروت. 1981.

– *تاريخ الفلسفة اليونانيّة* لمحمّد عبد الرّحمان مرحبا.

– *تاريخ الفلسفة اليونانيّة* ليوسف كرم.

– *التّاريخ الكبير* للبخاري. في خمسة أجزاء. حيدر أباد الدّكن.1360-1364 هـ.

– *تاريخ* المسعودي، ج3.

– *التّبصير في الدّين* للإسفراييني. القاهرة. 1955.

– *تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري* لأبي القاسم ابن عساكر الدّمشقي. طبعة القدسي. القاهرة.

– *تتمّة المختصر في أخبار البشر* لابن الوردي (المسمّى *تاريخ ابن الوردي*). في جزأين. مصر. 1285 هـ.

– *تحقيق ما للهند من مقولة* للبيروني.

– *تذكرة الحفّاظ* لشمس الدّين الذّهبي. في أربعة أجزاء. حيدر أباد الدّكن. 1955.

– (مجلّة) *التّراث العربي*، عدد 5-6 (عدد خاص بمناسبة ألفيّة ابن سينا).

– *التّراث اليوناني في الحضارة الإسلاميّة*، كارلو نللينو (مقال في) ص173 إلى ص198.

– *ترتيب المدارك وتقريب المسالك* للقاضي عياض. في أرعة أجزاء. تحقيق أحمد بكير محمود. دار مكتبة الحياة-دار مكتبة الفكر. بيروت-طرابلس.

– *التّصوّف في الأدب والأخلاق* لزكي مبارك، ج1.

– *التّصوّف في الإسلام* لعمر فرّوخ.

– *تفسير الرّازي*، ج3/ص105.

- *تفسير القرآن* للطّبري (المسمّى *جامع البيان عن تأويل آي القرآن*). ج 1 إلى ج 16. تحقيق محمود محمّد شاكر. دار المعارف بمصر. القاهرة.
- *التّفسير الكبير* للرّازي، (ج3/ص105)
- *التّفكير الفلسفي في الإسلام* لعبد الحليم محمود.
- *تلبيس إبليس* لابن الجوزي.
- *التّنبيه* للملطي.
- *تهذيب الأسماء واللّغات*، ج1، ج2.
- *تهذيب تاريخ ابن عساكر* لعبد القادر بدران. في سبعة أجزاء. دمشق. 1329 هـ- 1349 هـ.
- *تهذيب التّهذيب* لابن حجر العسقلاني. في 12 جزء. حيدر أباد الدّكن. 1325 هـ- 1327 هـ.

## -ج-

- *الجاحظ حياته وآثاره* لطه الحاجري.
- *الجرح والتّعديل* لأبي حاتم الرّازي. في ثمانية أجزاء. حيدر أباد الدّكن. 1371 هـ- 1373 هـ.
- *جمهرة أنساب العرب* لأبي محمّد ابن حزم الظّاهري. تحقيق عبد السّلام هارون. دار المعارف. القاهرة. 1962.
- *الجواهر المضيّة في طبقات الحنفيّة* لابن أبي الوفا القرشي. في جزأين. حيدر أباد الدّكن. 1332 هـ.

## -ح-

- *حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة* لجلال الدّين السّيوطي. في جزأين. تحقيق محمّد أبو الفضل ابراهيم. القاهرة. 1967-1968.

– *الحقيقة في نظر الغزالي* لسليمان دنيا. دار المعارف. مصر.
– *حلية الأولياء* لأبي نعيم الأصفهاني. في عشرة أجزاء. القاهرة. 1938.
– *الحوادث الجامعة والتّجارب النّافعة في المائة السّابعة* لأبي الفضل عبد الرزّاق ابن الفوطي البغدادي. بغداد. 1351 هـ.
– *الحور العين* لنشوان بن سعيد الحميري. تحقيق كمال مصطفى. القاهرة. 1948.
– *الحياة الرّوحيّة في الإسلام* لمصطفى حلمي.
– (كتاب) *الحيوان* للجاحظ. ج7. القاهرة. 1324 هـ.–1906 م.

**–خ–**

– *خزانة الأدب ولبّ لباب العرب* لعبد القادر البغدادي. في أربعة أجزاء. طبعة بولاق.
– *خطط* المقريزي (المسمّاة: المواعظ والإعتبار في ذكر الخطط والآثار). في جزأين. طبعة بولاق. 1270 هـ.

**–د–**

– *دائرة المعارف الإسلاميّة*.
– *دراسات في الفرق والعقائد الإسلاميّة* لعرفان عبد الحميد.
– *الدرّة المضيّة في أخبار الدّولة الفاطميّة* لأبي بكر بن عبد الله بن أبيك الدّواداري. تحقيق صلاح الدّين المنجد. القاهرة. 1961.
– *الدّيارات* للشّباشتي. تحقيق كوركيس عوّاد. بغداد. 1951.
– *الدّيباج المذهّب في معرفة أعيان المذهب* لابن فرحون المالكي. مصر. 1351 هـ.

**–ذ–**

– *ذيل الرّوضتين* لأبي شامة (تراجم رجال القرنين السّادس والسّابع). القاهرة. 1947.

**–ر–**

– *رجال* ابن حبان. تحقيق فلايشهمر. القاهرة. 1909.

– *رجال الكشي* لأبي عمرو محمّد بن عمر الكشي. تحقيق أحمد الحسيني. كربلاء.

– *رجال* النّجاشي لأحمد بن علي النّجاشي. طبعة طهران.

– *رسالة إفتتاح الدّعوة* للقاضي النّعمان بن محمّد. تحقيق وداد القاضي. بيروت. 1970.

– *الرّسالة القشيريّة* لعبد الكريم القشيري.

* في جزأين. تحقيق عبد الحليم محمود ومحمود بن الشّريف. القاهرة. 1966.

* بشرحي الأنصاري والعروسي، ج4.

– *رسالة الهداية والضّلالة للصّاحب* (المقدّمة) لحسين علي محفوظ.

– *روضات الجنّات* للخوانساري. طهران. 1367 هـ.

**–ز–**

– (كتاب) *الزّينة في الكلمات الإسلاميّة العربيّة* لأبي حاتم أحمد بن حمدان الرّازي.

**–س–**

– *سمط الآلي في شرح أمالي القالي* لأبي عبيد البكري. في جزأين. تحقيق عبد العزيز الميمني. القاهرة. 1936.

– *سيرة الغزالي* لعبد الكريم العثمان. دار الفكر. دمشق.

**–ش–**

– *شذرات الذّهب في أخبار من ذهب* العماد الحنبلي. في ثمانية أجزاء. القاهرة. 1350 هـ.–1351 هـ.

– *شرح الأزهار* للجنداري، ج1.

– *شرح البسامة* (شرح قصيدة ابن عبدون). القاهرة. 1340 هـ.

– *شرح عيون المسائل* للحاكم الجشمي. (ضمن كتاب *فضل الإعتزال وطبقات المعتزلة*).
– *شرح نهج البلاغة* لابن أبي الحديد.
* الجزء الأوّل. تحقيق محمّد أبو الفضل إبراهيم. القاهرة. 1959.
* ج2.
– *الشّعر والشّعراء* لابن قتيبة. في جزأين. دار الثّقافة. بيروت. 1964.
– *الشّيعة في التّاريخ* لمحمّد حسن الزّين.

**–ص–**

– *صفة الصّفوة* لابن الجوزي. في أربعة أجزاء. حيدر أباد الدّكن. 1355 هـ.
– *الصّلة بين التّصوّف والتّشيّع* لكامل مصطفى الشّيبي.

**–ط–**

– *طبقات الأطبّاء والحكماء* لابن جلجل. تحقيق فؤاد سيّد. القاهرة. 1955.
– *طبقات الأمم* لصاعد الأندلسي. نشر لويس شيخو. بيروت. 1912.
– *طبقات الحنابلة* لأبي الحسين محمّد بن أبي يعلى. في جزأين. القاهرة. 1952.
– *طبقات* خليفة.
– *طبقات الشّافعيّة* لجمال الدّين عبد الرّحيم الأسنوي. الجزء الأوّل. تحقيق عبد الله الجبور. بغداد. 1970.
– *طبقات الشّافعيّة* للحسيني. بغداد. 1356 هـ.
– *طبقات الشّافعيّة الكبرى* لتاج الدّين السّبكي. في ستّة أجزاء. المطبعة الحسينيّة. القاهرة. 1324 هـ.
– *طبقات الشّعراء* لابن المعتزّ. تحقيق عبد السّتّار أحمد فراج. دار المعارف. القاهرة.1956.
– *طبقات الصّوفيّة* لأبي عبد الرّحمان السّلمي. تحقيق نور الدّين شربيه. القاهرة. 1953.

- *طبقات القرّاء* للجزري. ج1.
- *طبقات الفقهاء* لأبي إسحاق الشّيرازي. تحقيق إحسان عبّاس. بيروت. 1970.
- *طبقات الفقهاء الشّافعيّة* لأبي عاصم العبادي. تحقيق فيتستام. ليدن. 1963.
- *طبقات الفقهاء المالكيّة* للقاضي عياض.
- *الطّبقات الكبرى* لابن سعد.
* في ثمانية أجزاء. دار صادر ودار بيروت. بيروت. 1957-1958.
* في تسعة أجزاء. تحقيق إدور سخو. ليدن. 1904-1940.
- *الطّبقات الكبرى* للشّعراني (المسمّاة *لواقح الأنوار في طبقات الأخيار*). في جزأين. القاهرة. 1299 هـ.
- *طبقات المعتزلة* لأحمد بن يحيى ابن المرتضى. تحقيق سوسنه ديفلد-فلزر. بيروت. 1961.
- *طبقات المفسّرين* لجلال الدّين السّيوطي.
* ليدن. 1839.
* طهران. 1960.
- *طبقات النّحويّين واللّغويّين* للزّبيدي النّحوي. تحقيق محمّد أبو الفضل إبراهيم. القاهرة. 1954.

## -ع-

- *العبر في خبر من غبر* للحافظ الذّهبي. تحقيق صلاح الدّين المنجد وفؤاد السيّد. الكويت. 1960-1966.
- (كتاب) *العبر وديوان المبتدأ والخبر* لابن خلدون. في سبعة أجزاء. بولاق 1284 هـ.
- *العقد الثّمين في تاريخ البلد الأمين* لتقيّ الدّين المكّي. تحقيق فؤاد سيّد ومحمّد طاهر الطناحي. القاهرة. 1959-1969.
- *عقيدة الشّيعة الإماميّة* للسيّد هاشم معروف. بيروت. 1956.

– *عمدة الطّالب في أنساب آل أبي طالب* للسيّد أحمد بن علي الدّاودي الحسني. تحقيق نزار رضا. دار مكتبة الحياة. بيروت.
– *عوارف المعارف* للسّهروردي.
– *عيون الأخبار* لابن قتيبة. في أربعة أجزاء. طبعة مصوّرة عن طبعة دار الكتب. القاهرة. 1963.
– *عيون الأنباء في طبقات الأطبّاء* لابن أبي أصيبعة. في جزأين.
* المطبعة الوهبيّة. القاهرة.
* بيروت. 1956.
– *عيون التّواريخ* لابن شاكر الكتبي. (مخطوط). (مخطوطة طوبقبوسراي رقم: 2922/21 ومخطوطة كوبللي رقم: 1121).
– *العيون والحدائق في أخبار الحقائق* لمؤلّف مجهول. تحقيق دي خويه ود. يونج. ليدن. 1869.

## –غ–

– *الغرر والدّرر* للشّريف المرتضى.
– *الغزالي* لكارّا دي فو. ترجمة عادل زعيتر. القاهرة. 1959.
–*الغلوّ والفرق الغالية في الحضارة الإسلاميّة* لعبد الله سلوم السّامرّائي.

## –ف–

– *فتوح* ابن أعثم لابن أعثم. في أربعة أجزاء. حيدر أباد الدّكن. 1968–1971.
– *الفرق بين الفرق* لعبد القاهر البغدادي.
* تحقيق محمّد محيي الدّين عبد الحميد. القاهرة.
* طبعة آفاق.
– *فرق الشّيعة* للنّوبختي. تحقيق هـ. ريتر. إستنبول. 1931.

- *فرق وطبقات المعتزلة* للقاضي عبد الجبّار.
- *الفصل في الملل والأهواء والنّحل* لابن حزم (وبهامشه *الملل والنّحل* للشّهرستاني). في جزأين. القاهرة. 1347 هـ.
- *الفهرست* لابن النّديم. طبعة مصوّرة عن الطّبعة الأوروبيّة بتحقيق فلوجل. مكتبة خيّاط. بيروت. 1964.
- *فهرست* الطّوسي
- *فوات الوفيّات* لابن شاكر الكتبي.
* في جزأين. تحقيق محمّد محيي الدّين عبد الحميد. القاهرة. 1956.
* في خمسة أجزاء. تحقيق إحسان عبّاس. دار صادر. بيروت.
- *في علم الكلام* لأحمد صبحي، ج1.

**-ق-**

- قاموس هيوقس الإسلامي.

**-ك-**

- *الكامل في التّاريخ* لابن الأثير. في 13 جزء. دار صادر-دار بيروت. بيروت. 1965-1967.
- *كشّاف إصطلاحات الفنون* للتّهانوي.
- *كشف الظّنون* لحاجّي خليفة. في جزأين. بعناية وكالة المعارف. 1941-1942.
- *الكشف والبيان* للقلهاتي.

**-ل-**

- *اللّباب في تهذيب الأنساب* لابن الأثير. في ثلاثة أجزاء. القاهرة. 1356 - 1369 هـ.

– *لسان الميزان* لابن حجر العسقلاني. في ستّة أجزاء. حيدر أباد الدّكن. 1331 هـ.

**–م–**

– *مؤلّفات الغزالي* لعبد الرّحمان بدوي. القاهرة. 1961.

– *المؤنس في تاريخ إفريقيا وتونس* لابن أبي دينار. تحقيق محمّد شحّام. تونس. 1967.

– *مجالس* الشّيخ مفيد، ج2.

– *مجالس المؤمنين*

– *المحبَّر* لابن حبيب. حيدر أباد الدّكن. 1361 هـ.

– *مختصر الدّول* لابن العبري. نشر أنطوان صالحاني اليسوعي. الطّبعة الثّانية. بيروت. 1958.

–*مختصر الفرق بين الفرق* لعبد الرزّاق ابن رزق الله الرّسعني. تحقيق فيليب حتّى. مصر. 1964.

– *المختصر المحتاج إليه من تاريخ الحافظ عبد الله الدّبيثي* لأبي عبد الله الدّبيثي. تحقيق مصطفى جوّاد. بغداد. 1951.

– *مدخل التّعريفات* للجرجاني.

– *المذاهب الإسلاميّة* لأبي زهرة.

– *المذاهب الإسلاميّة للمتكلّمين في الإسلام* لماكس هرتان.

– *مرآة الجنان* لأبي محمّد اليافعي. في أربعة أجزاء. حيدر أباد الدّكن. 1337–1339 هـ.

– *مراتب النّحويّين* لأبي الطيّب عبد الواحد بن علي اللّغوي. تحقيق محمّد أبو الفضل إبراهيم. القاهرة. 1955.

– *مروج الذّهب* للمسعودي. في أربعة أجزاء. تحقيق محمّد محيي الدّين عبد الحميد. الطّبعة الثّالثة. القاهرة. 1958.

– *مطالع البدور في منازل السّرور* لعلاء الدّين الغزولي.

- *المعارف* لابن قتيبة. تحقيق ثروت عكاشة.. دار الكتب المصريّة. 1960.
- *معالم العلماء* لابن شهراشوب.
- *معاهد التّنصيص* لعبد الرّحيم العبّاسي. في أربعة أجزاء. تحقيق محمّد محيي الدّين عبد الحميد. القاهرة. 1947.
- *معجم الأدباء* لياقوت الحموي. في 20 جزء. القاهرة. 1936-1938.
- *معجم البلدان* لياقوت الحموي. في خمسة أجزاء. دار صادر ودار بيروت. بيروت. 1955-1957.
- *معجم الشّعراء* للمرزباني. تحقيق عبد الستّار أحمد فراج. القاهرة. 1960.
- *المعجم الفلسفي* لجميل صليبا. في جزأين. بيروت.
- *المعجم الكبير* للطّبراني، ج8.
- *مفتاح السّعادة* لطاش كبرى زاده، ج2.
- *المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام* لجواد علي، ج6/ص586.
- *مقاتل الطّالبيّين* لأبي الفرج الأصبهاني. تحقيق أحمد صقر. القاهرة. 1949.
- *مقالات الإسلاميّين* لأبي الحسن الأشعري.
* تحقيق محمّد محيي الدّين عبد الحميد. في جزأين.
* تحقيق هلموت ريتر. الطّبعة الثّانية. فيسبادن. 1963.
- *المقدّمة* لابن خلدون. في أربعة أجزاء. تحقيق علي عبد الواحد وافي. القاهرة. 1957-1962.
- *مقدّمة تبيين كذب المفتري* لمحمّد زاهد الكوثري.
- (كتاب) *المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى* لأبي حامد الغزالي.
- *الملل والنّحل* للشّهرستاني.
في جزأين. تحقيق محمّد سيّد كيلاني. دار المعرفة. بيروت. 1961.
في جزأين. تحقيق. بدران. مكتبة الأنجلو المصريّة. القاهرة.
في جزأين. (على هامش *الفصل* لابن حزم). القاهرة. 1347 هـ.

– *مناقب الإمام أحمد* لابن الجوزي.
– *مناهج السنّة النّبويّة* لابن تيميّة. في جزأين. تحقيق محمّد رشاد سالم. مكتبة خيّاط. بيروت.
– *من تاريخ الإلحاد في الإسلام* لعبد الرّحمان بدوي. القاهرة. 1945.
– *المنتظم في تاريخ الملوك والأمم* لابن الجوزي. في عشرة أجزاء. حيدر أباد الدّكن. 1357 هـ.
– *من الفلسفة اليونانيّة إلى الفلسفة الإسلاميّة* لمحمّد عبد الرّحمان مرحبا. الطّبعة الثّانية. منشورات بحر المتوسّط ومنشورات عويدات. بيروت–باريس. 1981.
– *المنقذ من الضّلال* لأبي حامد الغزالي.
– *المنهل الصّافي والمستوفي بعد الوافي* لابن تغري بردي. الجزء الأوّل. تحقيق أحمد يوسف نجاتي. مطبعة دار الكتب. القاهرة. 1956.
– (كتاب) *المنية والأمل في شرح الملل والنّحل* لابن المرتضى.
– (كتاب) *مهرجان الغزالي* في دمشق 1961.
– *الموسوعة الإسلاميّة*، ج1.
– *موسوعة الدّين والأخلاق* (ج3/ص574)
– *موسوعة الفلسفة* لعبد الرّحمان بدوي. في جزأين.
– *الموسوعة المختصرة للإسلام* بإشراف هـ. جب، ص440 إلى ص444.
– *الموشّح* للمرزباني. تحقيق علي محمّد البجاوي. القاهرة. 1965.
– *ميزان الإعتدال في نقد الرّجال* للذّهبي. في أربعة أجزاء. تحقيق على محمّد البجاوي. مصر. 1963.

**–ن–**

– *النّجوم الزّاهرة في ملوك مصر والقاهرة* لابن تغري بردي. في 13 جزء. دار الكتب المصريّة. القاهرة.

– *النّزعة الكلاميّة في أسلوب الجاحظ* لفكتور شلحت اليسوعي.
– *نزهة الألباء في طبقات الأدباء* لكمال الدّين ابن الأنباري. تحقيق إبراهيم السّامرائي. بغداد. 1959.
– *نشأة التّصوّف الإسلامي* لإبراهيم بسيوني.
– *نشأة الفكر الفلسفي* لسامي النّشّار، ج1/ص194.
– *نكت الهميان في نكت العميان* للصّلاح الصّفدي. طبعة مصر.
– *نور القبس المختصر من المقتبس للمرزباني* لأبي المحاسن اليغموري. تحقيق رودلف زلهايم. بيروت. 1964.

**–و–**

– *الوافي بالوفيّات* للصّلاح الصّفدي. ج1 وج4 وج7. باعتناء هلموت ريتر وس. ديدرينغ. من سلسلة النّشرات الإسلاميّة لجمعيّة المستشرقين الألمانيّة. مطابع مختلفة. 1931–1959.
– *الوزراء والكتّاب* لمحمّد بن عبدوس الجهشياري. تحقيق مصطفى السقّا وإبراهيم الإبياري وعبد الحفيظ شلبي. القاهرة. 1938.
– *الوفيّات* لابن قنفد.
– *وفيّات* أبي الفدا لأبي الفدا، ج1.
– *وفيّات الأعيان* لابن خلّكان. تحقيق إحسان عبّاس. في ثمانية أجزاء. دار الثّقافة. بيروت.
– *ولاّة مصر* للكندي.
– *الولاّة والقضاة* لأبي عمر محمّد بن يوسف الكندي المصري. بيروت. 1908.

**-ي-**

- *يتيمة الدّهر* للثّعالبي. في أربعة أجزاء. تحقيق الشّيخ محمّد محيي الدّين عبد الحميد. القاهرة. 1375 هـ.-1377 هـ.

# محتويات كتاب

# المنْقذ من الضّلال

# محتويات كتاب
# المنْقذ من الضّلال


| | |
|---|---|
| **المقدّمة** | **26 – 7** |
| I – المؤلّف | 11 - 9 |
| 1 – مولده ونشأته | 9 |
| 2 – شيوخه | 10 - 9 |
| 3 – تلاميذه | 10 |
| 4 - خططه العلميّة والشّرعيّة | 11 - 10 |
| II – مؤلّفاته | 13 - 11 |
| 1 - في العقيدة وعلم الكلام والفلسفة | 11 |
| 2 - في الفقه وأصوله والمنطق | 12 - 11 |
| 3 - في التّصوّف | 12 |
| 4 – متفرّقات | 13 - 12 |
| III - تجربته المعرفيّة والروحيّة | 18 - 13 |
| 1 - علم الكلام | 14 |
| 2 – الفلسفة | 15 - 14 |
| 3 – علم الباطن | 15 |
| 4 – التّصوّف | 18 – 16 |
| IV – اكتمال المسار المعرفيّ | 19 - 18 |
| V - نظريّاته التربويّة | 19 |
| VI – الأخلاق | 20 - 19 |

VIII – السّعادة 20
IX – وفاته 20
X – تحقيقنا للكتاب 21
XI – تقديم الكتاب 21 - 26
1 – المتكلّمون 22 - 23
2 - الفلاسفة 23 - 24
3 - مذهب الباطنيّة أو أهل التّعليم 24 - 25
4 – الصّوفيّة 25 - 26

**كتاب المنقذ من الضّلال**
**لأبي حامد محمّد الغزالي** **27 – 104**

تَوْطِئة 29 – 32

مَدَاخِلُ السَفْسَطة
وجَحْد العُلوم 33 – 36

القَولُ في أصْنَافِ الطَّالبْين 37 – 40

عِلْمُ الكَلاَم
مَقْصُوده وحَاصِله 41 – 44

الفَلْسَفَة 45 - 64

- أَصْنَاف الفَلاَسِفةَ
وشُمول وَصْمَة الكُفِر كافَّتهمُ 52-49
- أَقْسَامِ عُلومِهم 66-53

القَولُ في مَذْهَبِ التَّعلِيم وغَائِلَته 80 – 67

طُرُق الصُّوفِيَّة 90 - 81

حَقيقَة النُبُوَّة:
واضطِرار كَافّةِ الخَلق إليهَا 96 - 91

سَبَب نشر العِلْم
بعَدْ الإعرَاضِ عَنه 112 - 97

قائمة المصادر والمراجع 132 - 113

**محتويات الكتاب** **138 – 133**

النّاشر: شركة كيرانيس للطّباعة والنّشر والتّوزيع
العنوان: إقامة الزّيتونة – 2/III - المنار 2 – أريانة
الهاتف: 71886914 216+
الفاكس: 71886872 216+
العنوان الالكتروني: JomaaAssaad@yahoo.fr
معرّف النّاشر : 02-9938
عدد الطّبعة: الثّانية
ت د م ك : 978-9938-02-030-4
تمّ سحب 1000 نسخة من هذا الكتاب بمطبعة كيرانيس-المنار 2

© جميع الحقوق محفوظة لشركة كيرانيس للطّباعة والنّشر والتّوزيع